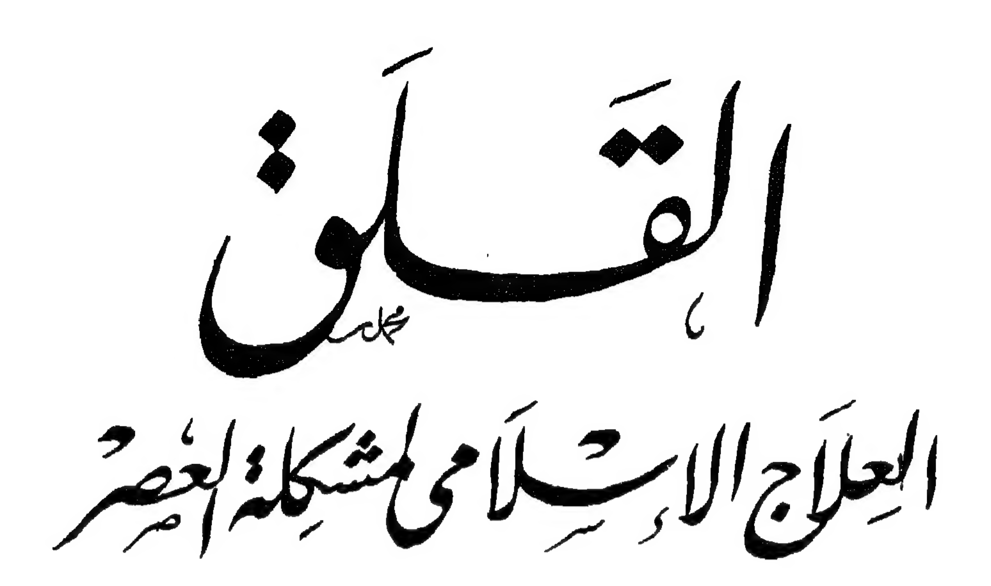
الشيخ عبد الحميد كشك

القلق

العلاج الإسلامي لمشكلة العصر

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية - عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

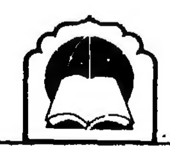
اهداءات ٢٠٠٢
أ/حسين كامل السيد بك فهمى
الاسكندرية



الشيخ عبد الحميد كشك

مكتبة التراث الاسلامى

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧





٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفر و نعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا من يهده الله فلا فضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وبعد

فإن هذا الكتاب فريد فى تأليفه لم يسبق إليه أحد ولا إلى موضوع القلق بالذات حيث عالج الكتاب موضوع القلق علاجا شافيا تطمئن إليه النفس ، ويأمن الإنسان فى حياته وبعد مماته . ولم لا ؟ والأمن هو النعمة العظمى بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى . ولقد امتن الله على المؤمنين بنعمة الأمن لقوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ . ولقد وصف الله سبحانه وتعالى دار السلام بأنها مقام أمين ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين** ﴾ .

ووصف من فيها بأنهم آمنون ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين** ﴾ ولقد امتن الله سبحانه وتعالى على قريش بنعمة الأمن ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ . وقال ﴿ **أو لم نمكن لهم حرما آمنا** ﴾ ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا** ﴾ .

ونعمة الأمن لا تعدلها نعمة فهى الاستقرار فى الدنيا والمقام الأمين فى الآخرة لذلك جعل الله الأمن غاية المنى لمن استمسك بالعروة الوثقى وجاهد فى سبيل الله .

وللناس فى تفسير الأمن أقوال ومفاهيم فالبعض يرى أن الأمن عدم الخوف على النفس والولد أو عدم التهديد فى الرزق والمستقبل أو جمع المال أو عدم تضييع الحقوق .... الخ . آراء كثيرة لكن الإسلام جعل الأمن الحقيقى فى تطبيق منهج الله الذى نزل على قلب سيد الأنبياء وإمام المرسلين حيث قال الله تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ﴿ **شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ ﴿ **قد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ فإسلام المرء وجهه لله معناه أنه دخل فى الأمن النابع من رحمة الله لأنه يكون حينئذ فى رحاب الله ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾

إن من أسلم وجهه لله فقد رضى بقضاء الله وقدره وهذا معناه الأمن من الهم والحزن والخوف من المجهول ... إن من اتبع منهج الله أمن على الرزق ولم يخش الفقر ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ .

وستجد أيها القارىء الكريم ما يجعلك آمنا فى دنياك وفى آخرتك حيث تناول المؤلف المنهج المتكامل الذى يحقق الأمان المطلق الذى تنشده كل نفس بشرية .

ولقد شمل هذا المنهج خمسة دعائم أساسية تلك الدعائم :

١ ـــ الأمن للعقيدة . ٢ ـــ تحقيق الأمن للنفس . ٣ ـــ تحقيق الأمن للعقل .

٤ ـــ تحقيق الأمن للعرض . ٥ ـــ تحقيق الأمن للمال .

ولقد أوضح المؤلف كل نقطة مما سبق شارحا ومفصلا ومستدلا من القرآن والسنة والأقوال المأثورة والشعر ومن الحياة العامة التى فسدت لعدم الإيمان بالله ورسوله واتباع منهجه فى فسادها وأصبحت الحياة لا سبيل لإنقاذها إلا بالرجوع للمنهج القويم .

هذا هو المبحث الأول .

أما المبحث الثانى : فلقد سرد المؤلف تسعة دروس عن الإنسان بين النفس والمال .

فلقد شرح قصة بلعام بن باعوار عالم بنى إسرائيل . وعن ثعلبة ابن حاطب الذى عاهد الله ثم نقض العهد وعن نفوس جرفها المال فانحرفت ﴿**واضرب لهم مثلا رجلين** ...﴾ سورة الكهف

ثم قصة قارون ونهايته والوليد بن المغيرة وفضيحة القرآن له وتوعد الله له فى الآخرة .

ثم عالج مشكلة القضاء والقدر بشكل سهل ممتنع يقبله العقل وتؤمن به النفس ...الخ

وختاما فهذا تقديم موجز لكتاب فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك أوجزنا فيه بالإشارة إلى رءوس المواضيع .

نسأل الله العلى القدير أن ينفع به قارئه وكاتبه أنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم المجيب

شعبان ١٤١١ هـ
مارس ١٩٩١ م

عمار محمد عمار
المستشار الدينى لدار التراث الإسلامى

المبحث الأول :

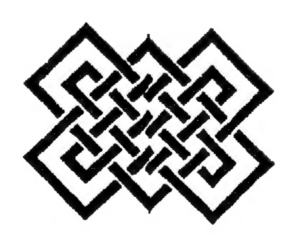
الإسلام فيه الأمن والأمان

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم صلاة وتسليماً يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين أما بعد ...

فإن الأمن هو النعمة العظمى بعد الإيمان بالله لذا فإن الله تعالى سمى نفسه المؤمن أى الذى يؤمن عباده ويكفى الأمن شرفاً وقدراً أنه من أسماء الله تعالى الحسنى ولقد قدمه الله تعالى على نعمة الرزق فقال : ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان** ﴾ . وجعل الله الأمن كلمة جامعة وافية كافية شافية جزاء للمؤمنين فبعدما سأل القرآن هذا السؤال : ﴿ **فأى الفريقين أحق بالأمن** ﴾ أجاب فى صراحة ووضوح وشموخ ورسوخ وبزوخ قائلاً : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ وقد وصف الله تعالى دار الخلد بأنها مقام أمين فقال عز من قائل : ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين** ﴾ ﴿ **فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين** ﴾ .

ووصف أهل الخلد بأنهم آمنون فقال : ﴿ **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين** ﴾ ولقد امتن الله تعالى على قريش بالأمن من الخوف فقال : ﴿ **الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ وقال : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً** ﴾ وقال : ﴿ **أو لم نمكن لهم حرماً آمناً** ﴾ . والحقيقة أنه لا حياة مع الخوف إذ تتحول الدنيا بلا أمن إلى أرض مسبعة يفترس القوى فيها الضعيف وتصبح الحياة ظلمات بعضها فوق بعض كأنها بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . والحياة مع الأمن تصير جنات ظلالها وارفة يتبوأ الإنسان فيها حياة طيبة مباركة ويعيش عيشة راضية يثمر وينتج يصون ولا يبدد ويحمى ولا يهدد يتفيأ ظلال الحرية ويأخذ مكانه تحت الشمس لذلك فإن الإسلام هو دين الأمن والأمان والعزة والكرامة والآخاء والمساواة والحرية والرفعة فلنعمل جميعاً على تحقيق هذه النعمة العظمى نعمة الأمن ولمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وعلى الله فليتوكل المؤمنون وطوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء والله المستعان وعليه التكلان .



الأمن فى ظل الإسلام

أهمية الأمن :

حقاً إن الأمن كلمة خفيفة على اللسان عميقة الوجدان مطمئنة للجنان إنه فعلاً نعمة عظمى وغاية يسعى إليها كل إنسان بل هو مطلب أساسى لا تستقيم الحياة بدونه وضعه الحق سبحانه وتعالى جنباً لجنب مع المطلب الأول الذى يسعى إليه كل كائن حى وهو الطعام بل انه سبحانه جل شأنه قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق فقال :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ﴾ .

ولم يمن الحكيم الخبير على قريش بنعمة كما من عليها بأنه أطعمها من جوع وآمنها من خوف فقال جل شأنه : **﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾** [قريش ٤] .

﴿ أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شئ ﴾ [القصص ٥٧] **﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً ﴾** [البقرة ١٢٥] .

بل ان العلى القدير جعل الأمن هو غاية المنى والجزاء الأوفى لمن جاهدوا فى الله حق جهاده واستمسكوا بالعروة الوثقى واتبعوا طريق من سبقونا بالإيمان لم يبالوا بما فيه من صعوبات ومشقات فقال : **﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾** [الأنعام ٨٢] .

لماذا ؟ لأنهم خافوا مقام ربهم فجعل الأمن عاقبة أمرهم لأنه قال وقوله الحق فى حديثه القدسى : ﴿ **لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين أبداً . إن هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن هو خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة** ﴾ .

فما هو الأمن الذى نال هذه المكانة العظمى وجعله الله أسمى الغايات للمؤمنين يتجاوب معه كيانهم وتتشوق إليه أرواحهم وتتطلع إليه أفئدتهم ؟

هل هو الطمأنينة ؟ هل هو السعادة ؟ أهو الاستقرار العائلى والوظيفى أهو ضمان الرزق والعيش فى رغد من الحياة ؟ أهو أمن الدولة بالمحافظة على حدودها الخارجية وعدم القلقلة والاضطرابات داخلياً ؟ أم هو أمن النفس البشرية وحمايتها من تيارات العواصف التى تطيح بها وتجعلها تئن تحت الضغوط الدنيوية وتسبب لها القلق والضياع .

أسئلة كثيرة تدور فى أعماق كل إنسان تجعله يتحير فى اختيار إجابة محددة واضحة المعالم عن الأمن ليس هذا فقط بل إنها تصبغ حياة الناس بصبغة معينة تجعل كلاً منهم يتحرك فى كل اتجاه ويجرى وراء كل ما يتصور أنه يحقق له الأمن . ومن مجموع هذا الإنسان تتكون المجتمعات فالشعوب فالدول . وتتحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وبالتالى فلنا أن نتصور خطورة الموقف فى تحديد مفهوم الأمن لأنه بناء على هذا المفهوم ستدور عجلة الحياة إن خيراً أو شراً وسوف تتشكل العلاقات الداخلية والخارجية لكل دولة على حدة ثم تتشكل العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب .

ولذلك سنحاول بإذن الله أن نوضح ما وسعنا الجهد مفهوم الأمن ثم نوضح المنهج الإسلامى فى الأخذ بالنفس الإنسانية نحو أمن الدنيا وأمن الآخرة حتى إذا جاء أجلها سعت إلى ربها فرحة مستبشرة بقوله الحق :

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى﴾ .

مفهوم الأمن عند الناس :

نظراً لأن الأمن هو إحساس داخلى فى النفس البشرية يدعمه الواقع العملى فإنه من الصعب بمكان ما على الإنسان أن يحدد مفهوماً واضح المعالم للأمن لأن هذا المفهوم يختلف من إنسان لآخر حسب قدراته النفسية والعقلية وظروفه الاجتماعية والاقتصادية . كما أن هذا المفهوم أيضاً يتغير من دولة لأخرى حسب وضعها الجغرافى وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

فإذا سألنا كل واحد منا هذا السؤال : كيف يتحقق لك الأمن ؟

نجد أن الإجابات قد تنوعت تنوعاً لا حد له : فالبعض يرى أن الأمن من وجهة نظره هو ألا يخاف على نفسه وولده من التعرض للسرقة أو الخطف أو القتل سواء فى منزله أو الطرق التى يسير فيها أو وسائل النقل العامة أو المتنزهات أو فى أى مكان حل فيه أو ارتحل عنه بمفرده أو مع أهله وأحبابه وأصدقائه .

والبعض الآخر يرى أن الأمن ألا يتعرض لإهمال جسيم يودى بحياته هباء إذا مرض أو أصيب فى حادث هو أو أى فرد من أفراد أسرته فيجد الدواء متوفراً فى متناول يده ويجد المستشفى الذى ينتقل إليه بسهولة ويسر ويجد القلب الرحيم والرعاية اللازمة التى تنقذ حياته أو حياة أحبائه فيشعر أنه إنسان ينتمى لوطن غال يقدر قطرات العرق والجهد الذى يبذله فى إدارة عجلة الحياة والإنتاج .

وهناك بعض ثالث يرى أن الأمن هو ألا يشعر أنه مهدد فى رزقه ومستقبله وأن هناك من القوانين الاجتماعية ما يحميه فى حالة الشيخوخة والمرض أو فى حالة أن يطرده صاحب العمل فى أى وقت يشاء بدون أى ذنب يجنيه سوى أن يقول الحق ولا شيء غير الحق .

وهناك من يرى أن الأمن فى جمع المال فيجرى وراء جمعه بشتى الطرق لا يهمه فى ذلك من أى الطرق جمعها فى مرضاة الله أم فى مرضاة نفسه وشهواته وأطماعه .

وهناك النساء وهن نسبة كبيرة فى المجتمع لها وزنها وثقلها الذى لا ينكره أحد فهن المدرسة التى تخرج الأجيال التى تحمل على سواعدها بناء المجتمع وفى رعايتهن الرعاية الطيبة إعداد شعب طيب الأعراق . هؤلاء النساء يرون أن الأمن هو ألا تعيش الواحدة منهن مهددة فى مستقبلها يعتصرها الخوف من أن تجد نفسها فجأة مطلقة ومحرومة من أعز ما لديها وهو فلذات أكبادها أو تجد نفسها شريدة وحيدة لا تجد القوت الذى يكفيها وبالتالى عليها أن تخوض غمار الحياة تصارع أمواجها لتحافظ على كيانها كإنسانة وعلى عقيدتها ومبادئها التى تمنعها من الإنحراف .

وهناك ذوو الحساسية المرهفة والأخلاق النبيلة يرون أن الأمن هو ألا يرى الناس حوله تتعارك لأتفه الأسباب وألا يدب الشجار الذى يتقاذف فيه الناس الشتائم على مسمع ومرأى من أطفالنا بما يتنافى مع أبسط قواعد الدين والأخلاق .

وهناك من يرى الأمن فى ألا تضيع حقوق بين المحاكم إذا اقتضاه الأمر للتقاضى ويجد القاضى العادل المنصف الذى يحكم بالحق فلا تميل بيديه إحدى كفتى الميزان فيشيع الظلم وهو المعول الأساسى فى إنهيار المجتمعات .

وهناك من يرى الأمن فى العدالة الاجتماعية حيث لا محسوبية ولا رشوة

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه ١٢٣ ــ ١٢٧] .

مفهوم الأمن الإسلامى :

إن مفهوم الأمن الإسلامى عميق كل العمق شامل كل الشمول يتناول الإنسان نفساً وروحاً وجسداً يتناول واقعه العملى وهو الدنيا التى يعيش فيها ومعاده الأزلى وهى آخرته التى سيرجع إليها .

إنه باختصار شديد جداً ينبع من نفس تلك الحروف التى تتكون منها كلمة الأمن فكل حرف فى القرآن له معنى وله غرض يسعى إلى تحقيقه فى الوجود . ولذلك فأن الله سبحانه جل شأنه تحدى الإنس والجن فى أن يأتوا ولو بسورة واحدة منه وكيف يتأتى لهم ذلك والحرف الواحد إن تغير موضعه أخل بمعناه فى اللوح المحفوظ وتغير عمله فى الكون وانتفى الغرض الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون رحمة للعالمين . وها هو الشيخ العارف بالله سيدى عبد العزيز الدباغ يحدثنا بما فتح الله عليه من معانى تلك الحروف فى القرآن العظيم فيقول رضى الله عنه :

للهمزة الإمتثال وللباء السكينة وللتاء كمال الحواس الظاهرة وللثاء الإنصاف وللجيم الصبر وللحاء الرحمة الكاملة وللخاء ذوق الأنوار وللدال الطهارة وللذال معرفة اللغات وللراء حسن التجاوز وللزاى الصدق مع كل أحد وللطاء التمييز وللظاء نزع خط الشيطان وللكاف معرفة الله تعالى وللام العلم الكامل وللميم الذكر وللنون الفرح الكامل وللصاد العقل الكامل وللضاد قول الحق وللعين العفو وللغين كمال الصورة وللفاء الحمل للعلوم وللقاف البصيرة وللسين خفض جناح الذل وللشين القوة الكاملة فى

الإنكماش وللهاء النفرة عن الضد وللواو يموت وهو حي وللام ألف عدم الغفلة ولياء التى هى آخر الحروف الخوف التام من الله عز وجل .

وهكذا فإن **حروف كلمة الأمن** بمعناها الحقيقي فى القرآن تعطينا المفهوم الحقيقى للأمن كما جاء به الإسلام غاية وبشرى للمؤمنين :

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ [الأنعام ٨٢] .

ومما سبق يتبين لنا أن معنى تلك الحروف التى تتكون منها كلمة الأمن (أ . م . ن .) هو : الهمزة للامتثال . والميم للذكر والنون للفرح الكامل أى أن الأمن هو فى الامتثال لأمر الله وهو فى ذكر الله وهو فى الفرح الكامل غير المنقوص وسنتناول بالتفصيل إن شاء الله معنى كل حرف على حدة وكيف يتحقق فيه الأمن :

أولا : الحرف الأول من كلمة الأمن وهو الهمزة للامتثال أى أن الأمن هو فى الامتثال لأمر الله لأن تسليم الوجه لله يحمى المسلم من كل عواصف القلق التى تتنازعه والصراعات التى يتعرض لها لأن فطرة الله التى فطر الناس عليها تؤمن بأن الخالق واحد وأى تغيير لتلك الفطرة يؤدى إلى ضياع النفس البشرية وتشتتها بحثاً عمن بيده أمرها :

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [الزمر ٢٩) .

إن الامتثال لأمر الله وتطبيق منهجه معناه الاستمساك بالعروة الوثقى ، معناه التقدم والرقى ، معناه التطلع إلى كل ما هو سامٍ وكل ما يحقق للنفس طموحها وآمالها وبالتالى أمنها وأى تطبيق لغير قانون الله فى الحياة يؤدى إلى اختلال الواقع العملى وظهور جميع عوامل التأخر الاجتماعى والاقتصادى

ولا نفاق ولا تفاوت رهيب فى توزيع الدخول يؤدى إلى سيطرة طبقة على أخرى بحيث يصبح حينذاك فئة طاغية من كثرة المال الذى يزيد عن الحد وفئة مطحونة من شدة الفقر وهى تمثل الغالبية العظمى من الشعب .

وبالتالى تفقد الحافز على الإنتاج لأنها مهما تعبت فإن الهوة ستظل كبيرة حيث الفقر حركة تراكمية لأسفل والغني حركة تراكمية لأعلى . وهذا يؤدى إلى تدهور البنيان الاجتماعى فى الدولة فيفقد الجميع الإحساس بأى نوع من أنواع الأمن .

كثيرون وكثيرون فى المجتمع كل منهم تدور فى أعماقه مفاهيم معينة عن الأمن . ولو أن الغالبية العظمى منهم تتصور أن هذا الأمن لابد وأن يتحقق مع التقدم والرفاهية وتطبيق الديمقراطية الغربية .

فإذا كان الأمر كذلك كما يتصورون فلم تعانى معظم الشعوب الأوروبية وشعوب الولايات المتحدة الأمريكية الإحساس بفقدان الأمن ؟ رغم أن تقدمها يمثل حلماً لكل الدول المتخلفة وتمثل ديمقراطيتها قمة مشاركة الشعوب فى صنع قراراتها المصيرية بنفسها وأعلى درجة من الرقابة الشعبية على الحكام مما تتباهى به تلك الدول نفسها على شعوب الكرة الأرضية بأسرها !!

ومع ذلك نجد أن العذاب النفسى والشقاء الروحى والشذوذ الجنسى والإنحلال الخلقى الذى تقاسى منه هذه الأمم اليوم ليكاد يغطى على الإنتاج والرخاء والمتاع . وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء وفقدان الأمن بكل معانيه .

وإذا كان الله قد رفع عذاب الاستئصال بعد بعثة رسول الله ﷺ فهناك ألوان من العذاب باقية والبشرية تذوق منها الكثير إذا بعدت عن منهج الله لأن سنة الله فى الكون هى مصداق قوله تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام ٤٤]

إذن فالأمن الحقيقى هو فى منهج الله العظيم الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق وإمام المرسلين ليكون رحمة للعالمين وهذا ما خاطبه به أصدق القائلين حيث قال : **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء ١٠٧]

﴿فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام ٥٤]

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل ٨٩] . **﴿فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾** [الأنعام ١٥٧] . **﴿وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** [يونس ٥٧] .

﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران ١٥٩] . ذلك الرسول الذى اجتمعت حوله القلوب فأشاع فيها الأمن حتى وصف بأنه نبى الرحمة وقال فى مدحه الشعراء :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء

ولنا أن نتخيل مجتمعاً دستوره الرحمة وملجأه الرحمن الرحيم أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . حقاً إن الإسلام وضع مفهوماً للأمن تتطلع إليه القلوب وتشرئب إليه الأرواح لأنه من عند حكيم خبير ، حدده فى آيات قرآنية تشع نوراً وبهاءً فقال جل شأنه : **﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك**

والسياسى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** ﴾ [البقرة ٢٥٦] .

﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور** ﴾ [لقمان ٢٢] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن وقت الشدة ومعناه النجاة من كل كرب يعترض الإنسان فى دنياه أو أخراه حين يعز الحبيب والطبيب :

﴿ **وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ [الإسراء ٦٧] .

﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير** ﴾ [الأنعام ١٧] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن النابع من رحمة الله لأنه يعيش فى كنف الله : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها** ﴾ [فاطر ٢] .

إنه ذلك الدرس العظيم الذى يعلمنا إياه معلم البشرية الأعظم فى كلمات تشع نوراً وضياء تملأ الكون سناء وبهاء . قال ﷺ : « **إذا استعنت فاستعن بالله وإذا سألت فاسأل الله واعلم أنه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك** » .

إن الإمتثال لأمر الله معناه الرضا بالقضاء والقدر معناه الأمن من الهم والحزن معناه الأمن من الخوف من المجهول لأن المؤمن يردد دائماً فى يقين وإيمان : ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ [التوبة ٧١] .

ويرددون أيضاً :

ويا فؤادى تلك دنيا الخيال فلا تنؤ تحت الهموم الثقال
سلم له الأمر فمحو الذى خطت يد الأقدار أمر محال

وبذلك ينالون وعد الله الحق : ﴿**أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ [المجادلة ٢٢] .

إن الامتثال لأمر الله معناه الأمن من الخوف فى الجهاد سواء كان الجهاد الأصغر وهو جهاد النفس لأن المؤمنين يسيرون دائماً بخطوات ثابتة وعزم صادق وإرادة لا تلين لأنهم يستشعرون فى وجدانهم دائماً قول الله سبحانه وتعالى : ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز**﴾ [المجادلة ٢١]

ولذلك فقد تحرر هؤلاء المؤمنون من كل أنواع الخوف إلا الخوف من الله : ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يَمْسَسْهُمْ سوء**﴾ [آل عمران ١٧٣] .

بل إن هؤلاء المؤمنين لم يتحرروا فقط من الخوف إنهم رفعوا رأسهم عالياً معتزين بانتمائهم إلى دين شعاره العزة والسمو :

﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾ [المنافقون ٨] .

﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوهن إن كنتم مؤمنين**﴾ [آل عمران ١٣٩] .

إن إسلام الوجه لله معناه الأمن على الرزق والتحرر من خوف الفقر لأن الله سبحانه وتعالى بيده مفاتيح السموات والأرض : ﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون**﴾ [الذاريات ٢٢] . ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾ [الأعراف ٩٦] .

حقاً أخى المسلم إن الأمن والأمان فى إسلام الوجه لله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه واتباع منهجه فذلك هو الطريق الوحيد أمام النفس البشرية لتشعر بالطمأنينة التى تنشدها وهذا الإمتثال ليس منة ولا تفضلاً من الإنسان المسلم بل هو أمر إلٰهى لمن اتبع رضوان الله ورضى بالإسلام ديناً :

﴿ قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴾ [الأنعام ٧١] .

كن عن همـــومك معرضـــــا	**وكل الأمـــور إلى القضـــــا**
وانعـــم بطـــول سلامـــة	**تسلـيك عمـــا قد مضـــى**
فلربمـــا اتســـع المضيـــق	**وربمـــا ضـــاق الفضـــا**
ولَـــرُب أمـــر سخـــط	**لك فى عواقبـــه رضـــا**
الله يفعـــل ما يشـــاء	**فلا تكـــن متعـــرضا**

وقبل أن نختم حديثنا فى هذا المجال لا يفوتنا أن نعرض ذلك الحديث القدسى الجليل الذى يبين عظمة الامتثال لأمر الله فى تحقيق الأمن للنفوس البشرية .

يقول رب العزة جل شأنه : **﴿ عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لى فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد ﴾** .

وفى حديث قدسى آخر يقول سبحانه وتعالى : **﴿ أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك وملك الملوك . قلوب الملوك فى يدى ﴾** .

إلهى إذا كانت القلوب بيدك فأنى لنا الأمن يا مقلب القلوب إلا بإسلام الوجه لك كما أمرتنا على لسان رسولك الكريم صلوات ربى وسلامه عليه : **﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ﴾** [الزمر ٥٤]

﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾ [آل عمران ٢٠] .

وهكذا فإن الإمتثال يوفر على الإنسان المسلم عوامل القلق النفسى.من الإحساس بالضياع والجزع والهلع فى الشدائد والمصائب ويحقق للنفس المؤمنة أجمل أحاسيس الأمن المشرقة المضيئة لأن تلك النفس تترنم بذلك الإمتثال مرددة :

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى ولا الشئون التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بى أحاط به علمه من قبل تصويرى

وتردد أيضاً بيقين الإيمان الذي يثلج الصدور :

تذكر جميلى مذ خلقتك نطفـــة ولا تنس تصويرى ولطفى فى الحشا
وسلم إلـىَّ الأمـر واعلـم بأننـى أدبـر أحكامـى وأفعـــل ما أشا

ثانياً : الحرف الثانى من كلمة الأمن وهو الميم للذكر :

إذا تكلمنا عن فائدة الذكر فى تحقيق الأمن للنفس البشرية فلن يكفينا مئات الصفحات فالله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين :

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد ٢٨] .

أى أن الأمر متعلق بثلاثة أمور يعجز القلب أن يوفيها حقها لأن كل منها درجات تشرئب إليه الأعناق وفيها يتنافس المتنافسون . تلك الأمور الثلاثة هى :

الإيمان بالله أولاً .
ذكر الله ثانياً .
اطمئنان القلوب ثالثاً .

ويهمنا هنا ذكر الله لأنه الوسط بين تلك الأمور فهو يتوقف على درجة الإيمان بالله وعليه يتوقف اطمئنان القلوب وتحقيق الأمن فى المجتمع المسلم وإلا لما أعطاه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه تلك المكانة الرفيعة الفريدة حيث قال :

« ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قلنا بلى . قال ذكر الله » .

لماذا نال ذكر الله تلك المكانة الرفيعة ؟

لأن ذكر الله معناه الإتصال بين العبد وربه فإذا تحقق ذلك الاتصال فهذا . معناه تزكية النفس وتطهير القلب وإيقاظ الضمير قال تعالى :

﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ [العنكبوت ٤٥] .

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر أكبر من دور الصلاة فى ذلك الذكر أعم من الصلاة لأنه مطلوب فى كل وقت كما قال الحق جل وعلا : **﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾** [آل عمران ١٩١] .

وذكر الله معناه استحضار عظمة الله فى قلب العبد يتعاون فى ذلك حواس الإنسان وإحساساته : فذكر العينين البكاء وذكر اليدين العطاء وذكر الأذنين الإصغاء وذكر اللسان الثناء وذكر البدن الوفاء وذكر الروح الخوف والرجاء وذكر القلب التسليم والرضاء . والذاكر حين ينفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه ، يمده الله بنور من عنده فيزداد إيماناً إلى إيمانه

ويقيناً إلى يقينه فيسكن قلبه للحق ويطمئن به . وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله إليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره فى حياة الإنسان المسلم وبالتالى فى حياة المجتمع المسلم .

فذكر الله معناه كيف يكون المسلم إنساناً حقاً فى البيع والشراء ، فى العلم والعمل ، فى تأدية الواجبات وأخذ الحقوق فى الصلاة والصوم والحج وأداء الزكاة ، فى الزواج والطلاق فى الجهاد والسفر ، فى الغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية ..

إنه باختصار حياة الإنسان الحياة اللائقة به كخليفة الله فى الأرض وصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال : « **مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت** » . رواه البخارى .

وهذا القول للصادق المعصوم نابع من قول الحق جل وعلا : ﴿ **ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا** ﴾ [الفرقان ١٨] .

كيف يحقق ذكر الله الأمن ؟

بعدما عرفنا المفهوم الحقيقى للذكر فإننا يمكن أن نعرف بوضوح كيف يحقق ذكر الله الأمن يقول الحق تبارك وتعالى فى أحاديث قدسية جليلة تبين أهمية اتصال العبد بربه ليحقق لنفسه الأمن الذى ينشده : ﴿ **إنى لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار المساجد والمستغفرين بالأسحار صرفت العذاب عنهم** ﴾ . ﴿ **أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك وملك الملوك ، قلوب الملوك فى يدى وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وإن العباد إذا عصونى حولت قلوب**

ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى والتقرب إلى أكفكم ملوككم﴾ .

« ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولا أسد فقرك » .

«ياابن آدم خلقت السموات والأرض لم أعى بخلقهن أفيعيينى رغيف أسوقه إليك كل حين ، ياابن آدم لى عليك فريضة ولك علىَّ رزق فإن خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزق . وعزتى وجلالى إن لم ترض بما قسمت لك لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالى » .

« ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع . إذا كنت معاف فى بدنك آمناً فى سربك عندك قوت يومك فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها » .

وتدعيماً لهذا المنهج فى أهمية اتصال العبد بربه لتحقيق الأمن قال المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه : «**من أعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون**» .

« من أصبح حزيناً على الدنيا فقد أصبح ساخطاً على ربه ومن شكى مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ومن قعد إلى غنى لينال من ماله فقد ذهب ثلثا دينه » .

من أصبح وهمه الدنيا فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولا ينال من الدنيا إلا ما كتب الله له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » .

صدقت يا سيدى يا رسول الله يا من بلغت عن رب العزة الحكيم الخبير . نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وأخرجنا الله برسالتك من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن الظلمات إلى النور ومن القلق إلى الطمأنينة :

فذكر الله هو الفلاح والنجاح والرقى الذى تنشده الشعوب والأمم : ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ [الأعلى ١٥] .

﴿ **وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ [الجمعة ١٠]

وذِكر الله هو الأمن من سيطرة الشهوات على النفس البشرية : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله** ﴾ [آل عمران ١٣٥] .

إنه الحماية من إغواءات الدنيا والشيطان ونوازع النفس والهوى .

إنى بليت بأربع يرميننى ... بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يارب أنت على الخلاص قدير

وذِكر الله هو الأمن من نزول الشياطين علينا وهو العلاج فى حال نزولها : ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم** ﴾ [الشعراء ٢٢١ — ٢٢٢) ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً** ﴾ [الشعراء ٢٢٧] ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ [الزخرف ٣٦] ﴿ **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله** ﴾ [المجادلة ١٩] .

وذكر الله معناه المعية مع الله وفى هذا الأمن كله والعز كله :

﴿ **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** ﴾ [البقرة ١٥٢]

وقد فسر الحق هذه المعية فى حديث قدسى مهيب لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد : فقال جل ذكره :

﴿ أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى . فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ عنده ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلىَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة ﴾ .

وذكر الله معناه شكر الله على نعمائه وهذا الشكر يحقق الأمن للنفس التى ترجع إلى بارئها فى كل أمورها معترفة بنعمته مقرة بفضله :

﴿ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ [مريم ٦٧]

﴿ أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ﴾ [المائدة ١١٠]

﴿ لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ [الزخرف ١٣]

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ [الحج ٢٨] .

وذكر الله معناه الأمن والعلاج من النسيان والأمراض الأخرى :

﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ [الكهف ٢٤]

﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ﴾ [ص ٤١]

﴿ رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ ﴿ لا إله إلا نت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾

وذِكر الله معناه الأمن من انحراف العقيدة أو زيغها :

﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ [البقرة ، ٦٣ ، الأعراف ١٧١]

﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾ [المزمل : ٨] .

﴿ واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ﴾ [الأعراف ٢٠٥] .

﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ [الإنسان ٢٥]

﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ [الأحزاب ٣٤]

﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴾ [النور ٣٧]

وذكر الله معناه الأمن وقت الشدائد والمواقف الحرجة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا ﴾ [الأنفال ٤٥]

﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ [الأنفال ٢٦]

وذِكر الله معناه الأمن فى المأكل والمشرب :

﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾ [الأنعام ١١٨]

﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ [الأنعام ١١٩]

﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا واتقوا الله ﴾ [الأنفال ٦٩]

﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه ﴾ [طه ٨١]

﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾ [المؤمنون ٥١]

﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴾ [سبأ ١٥]

وذِكر الله معناه الأمن من عقاب الله وغضبه مثلما حل على الأمم السابقة وإذا كان عقاب الاستئصال قد رفع ببعثة سيدنا محمد فهناك من ألوان العذاب النفسى ما هو أشد هلاكاً وإيلاما حيث يمنع الإنسان من الإحساس بأى نعيم مهما أحاطت به ألوان المتعة المادية : **﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسناً بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾** [الأعراف ٤ ، ٥]

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف ١٦٥]

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [الأنعام ٤٤]

﴿ ومن أظلم ممن ذُكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ [السجدة ٢٢]

وذِكر الله معناه الأمن من غاشية الجهالة والضلالة وظلمات المادية العمياء :

﴿ أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله ﴾ [إبراهيم ٥]

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ [البقرة ٢٣١]

﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس ٥٧]

﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾
[طه ١٢٣]

﴿ فَذَكِر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ [ق ٤٥]

﴿ الذين إذا ذُكِروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا ﴾
[الفرقان ٧٣]

﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ﴾
[الأنعام ١٠٤]

وذِكر الله معناه الأمن من حسد الحاسدين وطمع الطامعين :

﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق ١ — ٥]

﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [البقرة ١٠٩]

﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [النساء ٥٤]

﴿ يا أيها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ﴾
[يونس ٥٧]

وذِكر الله معناه الأمن من ارتكاب ما يُغضب الله والابتعاد عن رضوان الله ورحمته :

﴿ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾
[النحل ٩٠]

﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الرعد ١٩]

﴿إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾
[الأعراف ٢١٠]

﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين﴾
[الزمر ٢٢]

﴿وذِكر الله معناه الأمن من سوء العاقبة حين لا ينفع الندم :

﴿والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب ٣٥]

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعدا﴾ [الجن ١٧]

﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾
[الفجر ٢٣]

وذِكر الله معناه الأمن من التشاحن والبغضاء بين المنحرفين عن منهج الله ، وذلك التشاحن الذى يحول الحياة الدنيا إلى جحيم لا يطاق :

﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾
[ص ١]

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله﴾ [المائدة ٩١]

وذِكر الله معناه الأمن من عاديات الزمن التى يصيبنا الله بها ابتلاء وتمحيصاً :

﴿أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ [التوبة ١٢٦]

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ [الأعراف ١٣٠]

﴿ فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ﴾
[الأنفال ٥٧]

وذِكر الله معناه الأمن من عدم الوفاء بالعهود مما قد يسبب معاناة لا حصر لها لمن يتضررون بعدم الوفاء هذا :

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ [النحل ٩١]

﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ﴾ [الإسراء ٣٤]

﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ [البقرة ٤٠]

﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ﴾
[الأنعام ١٥٢]

﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾
[يوسف ٤٢]

وذِكر الله معناه الأمن فى ظل الرحمن :

﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون ﴾ [الأنبياء ٤٢]

﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور ﴾
[الملك ١٦]

﴿ أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾ [الملك ١٧]

﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شئ بصير ﴾ [الملك ١٩]

﴿أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا فى غرور﴾ [الملك ٢٠]

﴿أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور﴾ [الملك ٢١]

وهكذا فإنه لا يمكن حصر المجالات التى يحقق فيها ذكر الأمن لأنه لا يتناول النفس البشرية فقط بتركيبها الإعجازى الغريب بل إنه يمتد ليشمل كل ما يؤثر فى تلك النفس ودنياها وأخراها وانعكاس هذا التأثير على القلب بما يحقق اتصاله بمقلب القلوب ، الله نور السموات والأرض . وبالتالى فإنه يعجز القلم عن توفية هذا المجال حقه ويكفينا أن نردد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات ٥٥]

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد ٢٨]

ثالثاً : الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو : النون للفرح الكامل :

قد يثور إلى الذهن تساؤلات عميقة نتيجة هذا العنوان مضمونها : هل هناك فرح ناقص وفرح كامل ؟ وما هو الفرق بينهما ؟ وكيف يتحقق الأمن فى الثانى ولا يتحقق فى الأول ؟ وهل كل هؤلاء الذين نجدهم فى الدنيا فرحين لا يشعرون بالأمن ؟ ونقول بصدق اليقين فى كلام الله : إن الفرح الكامل هو الفرح بالله ومن الله ولله . وهذا القول نابع من دستور الله عز وجل :

﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾
[يونس ٥٨]

﴿ وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ﴾ [النجم ٤٣ ـــ ٤٤]

وأى فرح خلاف ذلك فهو زائف ومؤقت لأنه لا يحقق للنفس ابتهاجها الدائم وطمأنينتها المنشودة مما يجعل الإنسان يلهث وراء كل ما يتصور أنه يحقق له السعادة حتى ولو أدى به الأمر إلى ارتكاب المنكرات . ولكنه سرعان ما يزول تأثير تلك العوارض الزائفة وترجع النفس إلى قلق أشد لأنها بعدت أكثر عن منهج الله .

﴿ ذالكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ .

فالفرح الكامل هو الفرح بكل ما يرضى الله من إقامة دعائم الحق والخير والعدل فى المجتمعات البشرية لأن تلك الدعائم تحقق كل معانى الأمن والطمأنينة والسكينة فى الدنيا ثم لها الجزاء الأوفى فى الآخرة وفيما عدا ذلك فهو متاع الغرور لا يستحق أى فرح لأنه زائل . هذا الزوال نفسه مدعاة للحسرة كما قال أحد الصالحين :

أشد الغم عندى فى سرور ... تيقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها ... تدور فلا تديم عليه حالا

والأمثلة القرآنية التى ضربها لنا الحق جل وعلا تجل عن الحصر وتوضح لنا فى يقين لا يعتريه أى شك أن الفرح بمتاع الحياة الدنيا لا يحقق أى نوع من أنواع الأمن بل على العكس من ذلك فهو مدعاة لانتقام الله عز وجل فكيف يأمن من يعرف أن فرحه هذا عاقبته وخيمة ؟

﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ، ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون﴾
[يونس ٢٢ — ٢٣]

﴿وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع﴾
[الرعد ٢٦]

﴿فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾
[التوبة ٨٢]

﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين أمنوا يضحكون﴾
[المطففين ٢٩]

﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ [المطففين ٣٤]

ويعرض لنا الحق تبارك وتعالى العبر والعظات بكل أمة تركت العمل بما أمرت به فكان عاقبة أمرها أن افتتنها الله بالرخاء والسعة والصحة مكان البأساء والضراء ففرحت بتلك الماديات الحقيرة ونست خالقها المنعم . فهل يمكن أن تشعر تلك الأمم بالأمن ؟ حاشا لله أن تكون سنته فى خلقه فلابد أن يذيقها من ألوان العذاب ما لا تقدر على احتماله سواء عذاب الاستئصال فيما مضى أو الشقاء النفسى منذ بعثة سيدنا محمد صلوات ربى وسلامه عليه :

﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا

بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام ٤٤]

فأى أمن يشعر به الإنسان إذا فرح بما يغضب الله أو فرح بما آتاه الله من نعمة وبُعد عن منهج الله :

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [آل عمران ١٨٨]

وأى أمن يشعر به الإنسان إذا علم أن الله لا يحب الفرحين بالمتاع الدينوى والترف الزائل والحياة والغرور وهذا ما أخبرنا به الرحمن الرحيم فى قرآنه الكريم :

﴿إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص ٧٦]

حتى إذا ظهرت علامات الفرح على بعض الناس من كثرة الأموال والبنين فلا نغتر بذلك لأنه نعيم فى الظاهر شقاء فى الباطن لأنه قال وقوله الحق :

﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [التوبة ٨٥]

وأى أمن يشعر به الإنسان إذا كان فرحه مبنى على التقاعد عن الجهاد فى سبيل الله والبخل بالمال والنفس والخوف من خوض المشاق فى سبيل إرساء أسس الحق والدين :

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾ [التوبة ٨١ — ٨٢]

حقاً إن الأمن هو فى الفرح الحقيقى القائم على تقوى الله لأن الفرح هنا معناه اتصال القلب بالخالق وكفى بها من فرحة .

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأحقاف ١٣]

أى أن الأمن من الهم والحزن هو فى تقوى الله واتباع هداه :

﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأعراف ٣٥]

﴿فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة ٣٨]

ولذلك فقد كان الإنسان العارف بالله المتصل به يقول : (نحن فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف) وكيف لا ؟ وهو متصل بنور السموات والأرض إنه السعادة كلها والفرح كله والطمأنينة بأكملها :

لولاك يا سر الوجود ما طاب عيشى ولا وجودى
ولا ترنمت فى صلاتى ولا ركوعى ولا سجودى

وهكذا من يظن الدين قيوداً تحد من حرية الإنسان فقد ضل ضلالًا كبيرا وبعد عن منهج الحق الذى أنزل علينا القرآن هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور ولا أدل على ذلك من تلك الكلمات النورانية التى يواس بها الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه وقت شدته فيبدد ظلام حزنه ويشيع فى نفسه فرحة وبهجة :

﴿ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم﴾ [يونس ٦٥]

ومن كرم الله تعالى وتفضله علينا أن هذه المواساة لم تقتصر على الرسول

فقط بل إنها امتدت لتشمل كل مؤمن دخل فى رحاب الإسلام مسلماً وجهه لله وللرسول فقال جل شأنه :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران ١٣٩]

﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [المائدة ٦٩]

هذا هو الفرح الكامل وهذا هو الأمن الحقيقى إنه الفرح النابع من اتباع منهج الله وطلب مرضاته والاستعانة به وقت الشدائد :

ياصاحب الهم إن الهم منفــرج	أبشر بخير فإن الفـــارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبـه	لا تيأس فإن الكـــاف الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تفزعــن فإن الصانـــع الله
إذا بليت فثـق بالله وارض به	إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحـــد	فحسبك الله فى كل لك الله

إن هذا الفرح تنبع أهميته العظمى فى تحقيق الأمن من عدم اقتصاره على الدنيا فقط بل إنه يمتد ليشمل الدارين :

* فالفرح بالجهاد فى سبيل الله هو فرح كامل لأنه يضمن إحدى الحسنيين إما النصر فى الدنيا وما يتبعه من تحقيق مغانم وإما النعيم فى الآخرة :

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ [آل عمران ١٦٩ ـــ ١٧١] .

* والفرح بتقوى الله هو فرح كامل لأن فيه المعية مع الله فى الدنيا والنجاة من العذاب فى الآخرة :

﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [النحل ١٢٨]

﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ [الزمر ٦١]

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [يونس ٦٢ — ٦٤]

* والفرح بالوفاء بعهد الله هو فرح كامل لأن عاقبته كلها خير ففيها تلقى الوعد الإلهى وياله من تلق :

﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون ﴾ [البقرة ٤٠]

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ [فصلت ٣٠]

* والفرح بكتاب الله هو فرح كامل لأن فيه الخير كله والهدى والرحمة والبشرى :

﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ [العنكبوت ٥١]

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل ٨٩]

وهكذا إذا حاولنا أن نحصر سبل الفرح الكامل فلن يسعنا الجهد لأنه هو الفرح الحقيقى النابع من الحق إنه الفرح بالله ومن الله ولله وهو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة وتجنيبها كل عوامل القلق والتشتت

بالتعرض لأفراح وهمية مؤقتة تزول بزوال تأثيرها وبزوالها تترك فى النفس ألماً وحسرة على ما فرطت فى جنب الله بضياع فترة من العمر والمال والمجهود فى تحصيل متاع الدنيا الزائف . وهو ما يحذرنا منه سبحانه وتعالى أشد التحذير ويبين لنا منهجه واضحاً جلياً ليأخذ بيدنا من الظلمات إلى النور حتى لا تذهب النفس حسرات :

﴿ أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ﴾ [الزمر ٥٦]

وبشرح الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو النون نكون قد انتهينا من شرح المفهوم الإسلامى للأمن . وننتقل إلى قمة أخرى من قمم الإسلام وهى المنهج التطبيقى لتحقيق الأمن للإنسان المسلم . فالإسلام دين عملى واقعى لم يقتصر على وضع المفهوم بل إنه وضع له الأسس والقواعد التى ترسخه وتعمقه فى المجتمع الإسلامى ففرض من القوانين والتشريعات العقائدية ما يحمى المسلم من كل ما يعرضه لعوامل القلق والاضطراب سواء داخلياً « فى عقيدته وروحه ونفسه » أو خارجياً « فى ممارسته الحياة اليومية مع إخوانه المسلمين » .

وسنتعرض بمشيئة الله لذلك المنهج الربانى فى تحقيق الأمن للمجتمع الإسلامى لنعرف كيف يقف الإسلام عملاقاً شامخاً يتحدى كل النظم والقوانين التى تتباهى بها الأمم .

المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن :

إن الإسلام حقق الأمن للإنسان فى صورة مضيئة مشرقة حيث أفاض على القلوب الطمأنينة وعلى العقول النضج والوعى ونقل البشرية إلى تلك

القمة الساحقة وفتح لها آفاقاً واسعة سواء فى ذلك الآفاق المكانية أو الزمانية لتجول فيها وتعرف أن وعد الله حق وأن لا ملجأ من الله إلا الله بالاعتصام واتباع منهجه :

﴿أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف ١٨٥]

﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق ٣٧]

﴿وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها﴾ [يوسف ١٠٥]

وهكذا فإن تلك الآفاق تحرر الإنسان من وطأة بشريته التى تسجنه داخل جدران جسده وعقله وأهوائه وشهواته وتسبب له القلق والضياع .

ثم لم يقتصر الإسلام على ذلك بل إنه وضع منهجاً متكاملًا لذلك الإنسان يحقق له الأمان المطلق الذى تنشده كل نفس بشرية . يشمل هذا المنهج خمسة دعائم أساسية تشكل فى مجموعها دين الإنسان ودنياه واقعه وأخراه احتياجاته العاجلة واحتياجاته الأخروية تلك الدعائم هى :

١ ــ الأمن للعقيدة :

حيث تشدد فى توحيد العقيدة وبين أن الإسلام هو رسالة الرسل أجمعين ووضع دعائم الإيمان بالغيب كأساس لتقوية العقيدة . وصحح عقائد أهل الكتاب وحرم الردة .

٢ ــ الأمن للنفس :

حيث عالج مخاوف النفس البشرية بشتى صورها سواء الخوف من الموت أو فوات الرزق أو المصاعب والمخاطر وحارب المذموم من الأخلاق كالغيرة

والحسد والنفاق والغش والكذب والخديعة والغيبة والنميمة وعالج اليأس أخطر أعداء النفس البشرية .

٣ ـــ الأمن للعقل :

حيث أعد البشرية للرشد العقلى وحمايتها من استنفاذ العقل فى تية الفلسفات الذهنية وأهلها لاستخدام هذه الأداة العظيمة فى إدراك الحق وأسرار الخلق ولذلك كان هناك من القوانين الإلهية الكثير لحماية ذلك العقل أهمها تحريم المسكرات وكل ما يضر بالعقل بزجه فى متاهات الجاهلية العمياء .

٤ ـــ الأمن للعرض :

حيث حدد منهجه فى الحفاظ على العرض بتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ليعين الناس على التسامى ويطهر المجتمع مما يشوبه من أدران تسبب له القلق والضياع .

٥ ـــ الأمن للمال :

فالمال عصب الحياة وأى اختلال فى تداوله يعرض المجتمعات الإنسانية إلى هزات اقتصادية عنيفة فحرم كل طريقة لتداول الأموال بالباطل مثل السرقة أو الغش أو الرشوة أو القمار أو احتكار الضروريات لإغلائها أو جميع أنواع البيوع المحرمة .

وسنتناول بالتفصيل إن شاء الله تلك النقاط الخمس لنوضح كيف يحقق الإسلام الأمن للبشرية وكيف يعصمها من السقوط فى مهاوى القلق وكيف يأخذ بيدها إلى الطمأنينة والرضا والسعادة التى هى مطمع كل إنسان وغاية مسعاه . فالله يقول الحق وهو أصدق القائلين :

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ [الإسراء ٨٢]

﴿ وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس ٥٧]

﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف ٥٢]

ولنا أن نتخيل مجتمعاً دستوره الرحمة وملجأه الرحمن الرحيم ونبيه هو نبى الرحمة : أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . فلنرهف السمع ونوقظ الحواس ونحن ننصت إلى ما جاءت به الشريعة الغراء لترسى بكل الوضوح وبكل معانى العظمة دعائم الأمن ليكون هو البشرى وهو الغاية وهو الجزاء الأوفى :

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [الأنعام ٨٢]

﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ [سبأ ٣٧]

أولا ـــ تحقيق الأمن للعقيدة :

إن المنهج القرآنى فى دعم العقيدة الإسلامية غنى وزاخر ويجل عن الوصف . وكيف لا والتشريعات والتوجيهات الإسلامية كلها تنبع من أصل واحد وترتكز على ركيزة واحدة وهى عقيدة التوحيد المطلق . ومن تلك العقيدة فى الله تنبع كل التصورات الأساسية التى تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتى تؤثر على علاقات الناس بعضهم ببعض وفى العلاقات الدولية . كما أنها تجعل العبادات قاعدة للمعاملات بما فيها من تطهير للضمير والسلوك . وبالتالى فإن أى خلل فى

دعم تلك العقيدة معناها إشاعة القلقلة والاضطرابات فى المجتمع الإنسانى حيث يتبع كل فرد هواه مما يترتب عليه الفوضى الشاملة فى المجتمع ككل :

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص ٥٠]

فما هى تلك الخطوات التى اتخذها المنهج الإلهى لدعم العقيدة الإسلامية ، إن تلك الخطوات تتمثل فى نواحى شتى نوجزها فيما يلى :

١ ـــ التشدد فى توحيد العقيدة :

إن الإسلام يتشدد فى توحيد العقيدة فى الله ورسله حماية للمؤمن من تشتته بين أهواء ونوازع شتى تبدد طاقاته الروحية وتضيع معالم الهدف والطريق . قال تعالىٰ :

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران ١٩]

وقال جل شأنه :

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾
[النساء ١٥٠ ـــ ١٥١]

فكل الأنبياء عملوا فى معسكر واحد هو معسكر التوحيد وتحت لواء واحد هو قول **﴿لا إله إلا الله﴾** أما اختلاف المناهج فى الشريعة فقد جاء حسب تطور البشرية من طفولتها المادية إلى شبابها الجارف إلى رجولتها الكاملة على يد خاتم الأنبياء ﷺ وما من شك فى أن البشرية فى فجرها أيام آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم غير البشرية أيام موسى وعيسى وغير البشرية أيام محمد ﷺ فعقيدة الأنبياء جميعاً واحدة وهى التوحيد أما الشرائع فإنها جاءت مطابقة لمقتضى أحوال الأمم فيما يصلحهم ديناً ودنيا .

قال تعالى : ﴿ **ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه** ﴾ [المائدة ٤٨]

وقال جل شأنه : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾ [المائدة ٤٨]

ولا شك أن هذا التوحيد هو العقيدة اللائقة بإنسان يرى وحدة الناموس فى هذا الوجود أينما امتد بصره ولأنه هو التصور الكفيل بضم المؤمنين جميعاً فى موكب واحد هو موكب النور فى مواجهة صفوف الكفر وأحزاب الشيطان ومن ثم كان الإسلام هو الدين وكان المسلمون المعتقدون عقيدة صحيحة لم يدخلها أى نوع من أنواع الشرك هم ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ .

وقد عنى الإسلام عناية بالغة بتقدير حقيقة وحدانية الله سبحانه وحدانية لا تلتبس بشبهة شرك أو مشابهة فى آية صورة من الصور وذلك لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ليعرفوا من صاحب السلطان فى هذا الكون وفى هذه الأرض فلا يخضعون إلا له ولمنهجه وشريعته فى الحياة وهنا يتحقق الأمن والطمأنينة للمجتمع المسلم .

قال تعالى فى حديث قدسى جليل يعتبر دستوراً تطبيقياً يؤكد على أن الإيمان بوحدانية الله تعالى والتسليم له وحده كفيل بتحقيق كل دواعى الأمن للإنسان المؤمن :

﴿ **يا موسى ما أحبنى من أحب المال وما أحبنى من أحب الدنيا فإنه لا يسع قلب واحد حبى وحبها أبداً . يا موسى ما خافنى من خاف الخلق وما توكل علىّ من خاف فوات الرزق وعزتى وجلالى ما توكل علىّ عبد إلا كفيته وبيدى مفاتح الملك والملكوت وما اعتصم بى عبد إلا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيرى أسخت الأرض من تحته وقطعت الأسباب من فوقه ولا أبالى كيف أهلكته . يا موسى خمس كلمات ختمت**

لك بهن التوراة إن عملت بهن نفعك العلم كله وإلا لا ينفعك شيء منه ﴾

* **الأولى** : لا تخف ذا سلطان مادام سلطانى باقياً وسلطانى دائم لا يزول أبداً .

* **الثانية** : كن واثقاً من رزق مضمون لك مادامت خزائنى مملوءة وخزائنى مملوءة لا تنفذ أبداً .

* **الثالثة** : لا تر عيب غيرك مادام فيك عيب والمرء لا يخلو من عيب أبداً .

* **الرابعة** : لا تدع محاربة الشيطان مادامت روحك فى بدنك فإنه لا يدع محاربتك أبداً .

* **الخامسة** : لا تأمن مكرى حتى ترى نفسك فى الجنة وفى الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكرى أبداً .

أهمية التوحيد فى المنهج الإسلامى :

قال المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه : « **أيحب أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة ؟ فثقل ذلك على المسلمين وقالوا أينا يستطيع ذلك يارسول الله ؟ فقال لهم : اقرءوا : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾** » .

فلماذا احتلت سورة الإخلاص هذه المكانة ؟ يتضح هذا من اسمها فهى إخلاص الوجه لله وحده لا نشرك به سلطاناً :

﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾
[المؤمنون ١٦]

إنه الله الذى يجب أن يقاتل المؤمنون فى سبيله لإعلاء كلمة الحق ولا يخشون إلا إياه سبحانه وتعالى :

﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾ [التوبة ١٣]

إنه الله الواحد الذى يهدى إلى الحق من اتبع سبيله ويضل من اتبع الشهوات : **﴿قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق﴾** [التوبة ٣٥]

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية : ٢٣] .

هو الواحد الأحد له ملكوت السموات والأرض وتلك الأحدية فى حد ذاتها لها عظمتها فى إشاعة الأمن فى الوجود كله لأنه كما قال جل وعلا :

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء ٢٢]

وتلك الوحدانية تحرر النفس من كل خوف من آلهة عاجزة تظهر فى صورة ملوك جبارين فى الأرض وهم لا يملكون حولًا ولا قوة أمام قوة الله :
﴿وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ [الأنعام ٨١]

إنه الفرد الصمد الذى يقصده الناس فى قضاء حوائجهم ويغيث الملهوف ويفرج كرب المكروبين ويرفع راية المنصورين ويهدى الحيارى واليائسين :

﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلًا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل ٦٢ — ٦٤]

إنه الله الذى لم يلد ولم يولد لأنه غنى عن العالمين :

﴿ قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغنى ﴾ [يونس ٦٨]

﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ .
[الصافات ١٥١ — ١٥٢]

﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ [الزمر ٤]

إنه الله الذى ليس له كفواً أحد سبحانه وتعالى جل شأنه :

﴿ يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾
[يوسف ٣٩]

﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [الأعراف ٥٤]

﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾

﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾

﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ﴾

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ [القصص ٦٨ — ٧٢]

سبحانك ربى لا إله إلا أنت يا من يقف القلم عاجزاً خاشعاً أمام عظمة منهجك فى توحيد عقيدتنا بما يحقق للنفس اطمئنانها وسكونها إلى من بيده أمرها :

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
ياحي ياقيوم أنت المرتجى وإلى علاك عنا الجبين الساجد

٢ ـ التأكيد على أن هذا المفهوم يجعل المسلم يزداد يقيناً واعتزازاً بدينه ويجعل نفسه تطمئن إلى أن هذا الدين هو الحق المبين حيث دعا إليه رسل الله أجمعين من عهد آدم إلى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ .

﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾ [آل عمران : ١٩] .

لماذا ؟ لأن الإسلام هو الرسالة التى بعث بها الأنبياء عبر تاريخ البشرية فهاهو سيدنا نوح يخاطب قومه فيقول لهم : ﴿ **فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ [يونس : ٧٢] .

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن عقيدة سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء فيقول جل شأنه : ﴿**ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً**﴾ [آل عمران : ٦٧] .

وغرس سيدنا إبراهيم فى نفسو أولاده الإسلام وأنشأهم عليه وأوصاهم به .

﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [البقرة : ١٣٢] .

وكان أهم ما يشغل أحد أحفاده وهو نبى الله يعقوب ساعة الموت حينَ لقاء الواحد القهار هو الوصية بدين الحق دين التوحيد ألا وهو الإسلام .

﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من**

بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة: ١٣٣] .

وقالت الملائكة عندما كلفها الله بإخراج الذين آمنوا من قوم لوط وإهلاك الباقين الذين كذبوا به وجحدوا نعمة ربهم : **﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾** [الذاريات: ٣٦] .

وها هو سيدنا موسى يبلغ المنهج الإلهى فيخاطب قومه قائلًا : **﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾** [يونس: ٤٨] .

وعندما آمن السحرة برسالة موسى وهددهم فرعون بأبشع أنواع العقاب قالوا له فى يقين لا يتزعزع وقلب مطمئن بحلاوة التوحيد . **﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا * ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾** [الأعراف : ١٢٦] .

حتى فرعون عندما أدركه الغرق وعرف أنه لا ملجأ من الله إلا الله قال : **﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾** [يونس ض ٩٠] .

وعلى لسان سليمان يقول الحق جلا وعلا : **﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾** [النمل : ٢٤] .

وتقول ملكة سبأ بعد أن هداها الله على يد نبيه سليمان : **﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾** [النمل : ٤٤] .

ويحكى لنا الله سبحانه وتعالى عن ذلك الحوار الربانى بينه وبين رسوله الكريم عيسى فيقول جل شأنه : **﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾** [الأنبياء: ١٠٨] .

وقال تعالى لصفيه وحبيبه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﴿ **قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين** ﴾ [الزمر: ١١ — ١٢] .

وهكذا فلا حجة للناس على الله بعد الرسل ولا عدوان إلا على الظالمين ولا عذر لعقيدة متميعة تتأرجح بين الشك واليقين فالإسلام رسالة شامخة وارفة الظلال مغدقة الثمار ترفع رؤوس معتنقية عالية وتملأ نفوسهم عزة وأمنا وتضفى على خطواتهم ثباتاً وإرادة وكيف لا وهو عقيدة رسل الله أجمعين صفوة البشرية وساداتها جاء بها خاتمهم وأمامهم صلوات ربى وسلامه عليه فأغدق على النفس المؤمنة الطمأنينة والسكينة وسد عليها كل منافذ الشك والقلق .

٣ ـ الإيمان بالغيب كأساس لدعم العقيدة :

إن أعظم ما يدعو لدعم العقيدة وجعلها راسخة متينة لا تتزعزع هو مدى الإيمان بالغيب فالمؤمن يتحمل ما يلاقيه من عنت ومشقة فى الحياة راضياً لأنه محتسب أجره عند الله يطلب عفوه وغفرانه ودخول جناته كما أنه يتجاوز عن الزلات ويعفو عن المسيء ويكظم غيظه ويدفع بالتى هى أحسن ابتغاء مرضاة الله إيماناً بالغيب الذى نبأنا عنه الصادق المعصوم .

إن الإيمان بالغيب هو الاختبار الحقيقى للإنسان لأنه يجاهد وجوده المادى فى سبيل وجوده المعنوى دون أن يرى الله صاحب الوجود الحقيقى ودون أن يرى الجنة أو النار لو تكشف له كل هذا لخضع لله جبراً وقسراً واختار الجنة وخشى النار لعظمة الأولى وجمالها وهول الثانية وجحيمها . وبالتالى لا يصبح هناك مجال لتفاوت أقدار الناس ومكانتهم ولا ينصهر الإنسان وينصقل بخوض تجربة الحياة الدنيا التى أرادها الله له . ولننصت إلى

حديث رسول الله ﷺ لنعرف فضل الله على من عبده بظهر الغيب :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً . قال فيقول : فما يسألونى ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم** » رواه البخارى .

حقاً إن الإيمان بالغيب هو المحك الحقيقى للإيمان وهو الاختبار الشاق للإنسان اختبار ما فى الصدور وتمحيص ما فى القلوب : ﴿ **وليبتلى الله ما فى صدوركم ويمحص ما فى قلوبكم** ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وهذا الابتلاء يعرضه الله علينا فى كل شىء بعد فرض أوامره وعرض عاقبة المتقين ومن أمثلة ذلك : ﴿ **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [البقرة : ١٥٥ ــ ١٥٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٩٤] .

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ﴾ [الحديد : ٢٥] .

إن الإيمان بالغيب هو أمن وحماية وقوة للعقيدة لأنه سيوقظ الضمير فيقف حارساً على الحواس لأنه يخاف الله ويخشى عاقبة أمره .

﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ [يسٓ : ١١] .

﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ [فاطر : ١٨] .

﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ [التوبة : ٩٤] .

والإيمان بالغيب يحمى الإنسان من عوامل القلق فى البحث عما وراء الطبيعة وعن نشأة الكون ونهايته وعما ينتظره ساعة الموت وفيما بعد الموت لأنه آمن بالله ثم استقام والله يقول وقوله الحق :

﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ [النمل : ٦٥] .

﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ﴾ [هود : ١٢٣] .

وجعله أهم صفات المؤمنين المتقين وهو أول ما يطالعنا فى كتاب الله عز وجل فى أول سورة البقرة حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ [البقرة : ١ — ٣] .

٤ — تصحيح عقيدة أهل الكتاب :

إن تصحيح عقيدة أهل الكتاب من يهود ونصارى هو فى حد ذاته دعم للعقيدة الإسلامية لأنه اعتناء ببيان الحق واظهاره وبيان الباطل وكشفه حتى يكون المؤمن على هدى من ربه فيطمئن قلبه ويسير فى الحياة ثابت الخطى لأنه رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا ﷺ . فتولى القرآن تصحيح عقائد أهل الكتاب التى جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير مما يبعدها عن العقيدة الصحيحة فى الله وهذا يسبب قصوراً فى العقل للبشر أجمعين يؤدى إلى الغلو والتفريط فى تفكير البشرية جمعاء ببعدها عن منهج الحياة وهو منهج الله . فيخاطب الله أهل الكتاب خطاباً زاجراً يردهم به إلى طريق الحق والجادة والصواب فيقول جل شأنه : ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ [المائدة : ٧٧] .

إن ذلك الخطاب لأهل الكتاب احتل أهمية كبرى فى القرآن الكريم نظراً لأنه خاتم الرسالات إلى العالمين فكان لابد من تخليص عقيدة التوحيد من كل ما يشوبها من أساطير البشر وتخبطهم فى جاهليتهم العمياء .

فنجد الحق سبحانه وتعالى يصحح لليهود اختلالات تصور التوحيد ويزيح ما تراكم عليهم من غبار الباطل فيقول جل شأنه :

﴿يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفو بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً وإياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ [البقرة: ٤٠ـــ٤٣] .

ويتجه الله سبحانه وتعالى إلى المسيحيين بتصحيح ما اعترى ديانتهم من قصور بعد بهم عن معنى الدين الحقيقى وأصاب عقيدتهم بانحراف بعدهم عن الحق المبين فيقول جل شأنه : ﴿ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلًا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدالله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ [النساء: ١٧١ـــ١٧٢] .

إن الآيات التى يخاطب فيها الله اليهود والنصارى ليبين لهم العقيدة الصحيحة لا تعد ولا تحصى بحيث لا يسمح المجال هنا بسردها(١) . وما يهمنا الاستدلال به هو حرص المنهج الإسلامى على دعم عقيدة المسلم لأنها هى العقيدة الحقة التى ارتضاها الله لنا وبها نحقق الأمن فى أروع معانيه لأن التلقى فى شئون الحياة كلها من الله وحده ويا لها من نعمة عظمى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ . [المائدة: ٣] .

٥ ــ تحريم الردة :

إن الإسلام عقيدة التسامح ولكنه ليس عقيدة التميع إنه تصور جاد ونظام جاد والجد لا ينافى التسامح ولكنه ينافى التميع فهو يتسامح مع أصحاب العقائد المخالفة له فلا يكرههم أبداً على اعتناق عقيدته ولهم حتى وهم يعيشون فى ظل نظامه ودولته أن يجهروا بمعتقداتهم المخالفة للإسلام فى غير ما دعوة للمسلمين ولا طعن فى الدين وهو يحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم ويمتعهم بخير الوطن الإسلامى بلا تمييز بينهم وبين أهل الإسلام ويدعهم يتحاكمون إلى شريعتهم فى غير ما يتعلق بمسائل النظام العام .

إن الإسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفيه فى العقيدة ولكنه لا يتسامح أبدا مع من يوحدون الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم يرتدون بعد ذلك لأن هذا أخطر ما يمكن أن يطعن به الأعداء الإسلام وهذا ما فعله الكفار فعلًا فى أول الدعوة لمحاربة الإسلام ورسول الإسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه حيث زين لهم الشيطان أن يعلنوا إسلامهم ثم يرتدوا بعد ذلك معلنين أن هذا الإسلام ليس أهلًا لهم وفيه من المبررات ما يجعلهم يرجعون عنه وهذا ما أخبر به الله العليم رسوله الكريم حتى يحذره منهم :

﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ [آل عمران : ٧٢] .

ومن هنا وحماية للعقيدة الإسلامية وتدعيماً لها حرمت الردة فى الإسلام تحريماً قطعياً ووصلت عقوبة تلك الجريمة إلى حد القتل وذلك حتى لا يستباح دين الله لضعاف النفوس أن يجعلوه مطمعاً لتحقيق أغراضهم ثم ينفضوا منه بعد ذلك تاركين وراءهم البلبلة والتزعزع فى عقيدة الباقين

ولذلك قال الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه : « **من خالف دينه دين الإسلام فاضربوا عنقه** » وقال أيضاً ﷺ : « **من بدل دينه فاقتلوه** » .

وهذا الحكم مستمد من القانون الأساسى وهو القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ [البقرة : ٢١٧] .

﴿**ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وهكذا لم يترك الإسلام ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها الشك فى العقيدة إلا وأحكم مغاليقها لتظل عقيدة المسلم قوية البنيان عميقة الأساس لا تزلزل ولا تهتز لا تستطيع جيوش الباطل مهما أوتيت من قوة أن تغلبها أو تنتصر عليها وهكذا يعيش المؤمن فى أمن عقائدى لا يشعر بعظمة هذا الأمن إلا من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان وكفى بها من نعمة .

وننتقل الآن إلى مجال آخر من المجالات التى اهتم الإسلام بتحقيق الأمن فيها بل إنه مجال لا يقل أهمية عن مجال العقيدة لأنهما متلازمان متلاصقان لا غنى لأحدهما عن الآخر وهو مجال النفس البشرية . فإن كانت العقيدة كالغيث فإن النفس كالأرض وكلما كان الغيث غزيراً والأرض خصبة فإنها تؤتى ثمارها كأروع ما يكون الجنى . فنتجول فى رياض الإسلام ونرى كيف أسبغ على النفس المؤمنة كل أمن وطمأنينة وأحاطها بسياج منيعة تحميها من عواصف القلق المدمرة .

ثانياً ـ تحقيق الأمن للنفس :

ما أعظم المنهج الإسلامى فى علاج النفس البشرية من كل المخاطر والصعاب التى تعترض طريقها فى الحياة الدنيا . ذلك المنهج الذى تتضاءل أمامه كل علوم النفس التى تحاول دراسة وعلاج الصراعات النفسية وكيف لا وواضع المنهج هو الحكيم الخبير خالق النفس البشرية الذى يعلم مستقرها ومستودعها . يقول الحق جلا وعلا تأكيداً عن هذا العلم : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه** ﴾ [ق : ١٦] .

﴿ **ربكم أعلم بما فى نفوسكم** ﴾ [الإسراء : ٢٥] .

﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه** ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

وانطلاقاً من هذا العلم فإن المنهج الربانى أخذ النفس الإنسانية بطريقته الخاصة أخذها بسلطان الله وخشيته ومراقبته وبحضور الله سبحانه وتعالى فيها حضوراً لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان . أخذها جملة لا تفاريق وعالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة : لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا تدع فيها فراغاً فنقل البشرية من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الناس إلى عدالة الإسلام وهكذا امتلأت النفوس المؤمنة بالإيمان ذلك الإحساس الندى الرضى البهيج فلم تعد بحاجة إلى نشوة الخمر أو إرضاء الرغبات والشهوات الكاذبة لأنها ترف بالإيمان المشع إلى الملأ الأعلى الوضىء وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله وتذوق طعم هذا القرب فتمج كل نشوة عداها . إنه استنفذ الفطرة من ركام الجاهلية وفتحها بمفتاحها الذى لا تفتح بغيره وتمشى فى خباياها وأوصالها وفى مسالكها ودروبها . ينشر النور والحياة والنظافة والطهر واليقظة والهمة والاندفاع للخير الكبير والعمل الكبير والخلافة فى الأرض على أصولها التى قررها العليم الخبير وعلى عهد الله وشرطه وعلى هديه ونوره .

وبالتالى فإن هذا المنهج الإسلامى لم يحاول زرع اليأس فى النفس البشرية بل استجاشة تلك النفس وتشجيعها وتحذيرها وطمأنتها فى آن واحد وشمل العلاج نواحى عدة يعجز الإنسان عن حصرها ولكن يمكن تلخيصها فى عدة نقاط رئيسية تضم كل منها العديد من اتجاهات المنهج الربانى لتحقيق الأمن للنفوس :

١ ــ **علاج الخوف بكل أنواعه** : سواء الخوف من الموت أو من فوات الرزق أو أى نوع من أنواع المخاطر والصعاب .

٢ ــ **علاج اليأس** : هذا اليأس الذى قد يهدد حياة الإنسان بالشلل التام وبالتالى يؤدى إلى تدميرها .

٣ ــ **علاج مساوىء الأخلاق والدعوة إلى مكارمها** : وذلك لتهذيب النفوس البشرية ومحاربة كل ما يعكر صفو المجتمعات من شيوع رذائل الأخلاق التى تزلزل كيانها وتنشر الحقد والكراهية والقلق بين الناس .

١ ــ علاج الخوف بكل أنواعه :

إن المنهج الإسلامى وضع العلاج بطريقته الخاصة وهى رد تلك النفس إلى خالقها فى كل ما يعتريها من خوف وارجاعها إلى الواحد الحق الذى إليه المنتهى وإليه المصير : فالنفس التى تخاف من الموت إذا رجعت إلى خالقها وأرهفت السمع إلى آياته المحكمات عرفت أن الموت علينا حق مهما فررنا منه أو أحجمنا عن ملاقاته فى أى صورة من صور الجهاد لإعلاء كلمة الحق فى مواجهة الباطل : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾ [آل عمران : ٨٩] .

﴿ **نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين** ﴾ [الواقعة : ٦٠] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥].

﴿لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [يونس : ٤٩] .

حقاً إن الموت حتم فى موعده المقدر لا علاقة له بالحرب والسلم ولا علاقة له بحصانة المكان الذى يحتمى به الفرد أو قلة حصانته ولا يؤخره أن يؤخر عن الناس تكليف القتال ولا التكاليف الجهادية تعجله عن موعده وبالتالى فلا داعى لخوف النفس وجزعها وخشيتها من خوض المكاره والحروب : ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨] .

﴿قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران: ١٦٨] .

﴿وما تدرى نفس بأى أرض تموت﴾ [لقمان: ٣٤] .

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥] .

ومتى أيقنت النفس ذلك اندفعت آمنة مطمئنة فى خضم الحياة ترسى دعائم الحق والعدل والخير غير هيابة ولا وجلة لأن كلمات الحق جل وعلا كشفت لها حقائق الوجود فى سهولة ويسر وأصبح عندها رؤية واضحة محددة للأمور فالموت معناه لقاء الله ولقاء محمد وصحبه الأخيار الأبرار ومعناه انتهاء ما فيه الإنسان من مكابدة ومشاق والانتقال إلى سعادة لا شقاء بعدها أبداً ونعيم لا يزول لأنه نال ذلك بحسن عمله فى الحياة الدنيا :

﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [الملك: ٢] .

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ [النساء : ١٠٠] .

حماية الإسلام للنفس :

رغم أن الإسلام وضع ذلك المفهوم الواضح للموت إلا أنه لا يأبى أن يلقى الإنسان بنفسه إلى التهلكة . فالنفس أمانة حرص الإسلام على حمايتها بكل القوانين التشريعية وذلك لإسباغ صفة الأمن على المجتمعات البشرية بحيث لا تذهب الأرواح سدى بل إذا كان لابد من ذلك فليكن فيما يعود بالخير العميم والنفع الأكيد على المجتمع بأسره . ولذلك حرم الإسلام القتل فى غير قصاص وفى غير دفع فساد فى الأرض تحريماً قاطعاً :

﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ [المائدة : ٣٢] .

إن قتل نفس واحدة بدون سبب شرعى يعدل قتل الناس جميعاً لأن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس وقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على هذا الحق الذى تشترك فيه كل النفوس وبالتالى فإن الحفاظ على الأرواح يجعل الناس تستمتع بالأمن وتزاول نشاطها فى طمأنينة .. وهذا يدعو إلى رقى الحياة الإنسانية وزيادة الخير والفضيلة والإنتاج والنمو وبخاصة إن هذا المجتمع يوفر للناس جميعاً ضمانات الحياة كلها وينشر من حولهم جوا تنمو فيه بذور الخير وتذوى بذور الغدر والشر .

هكذا حكم الإسلام بالنسبة لقتل أى نفس عموماً فما هو حكمه بالنسبة لقتل النفس المؤمنة ؟

لا يوجد سبب فى منطق الإسلام يمكن أن يفوق ما بين المسلم والمسلم ومن وشيجة العقيدة ومن ثم لا يقتل المسلم مسلماً أبداً وقد ربطت بينهما هذه الرابطة الوثيقة اللهم إلا أن يكون ذلك خطأ . وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام . أما القتل العمد فلا كفارة له لأنه وراء الحسبان ووراء حدود الإسلام : ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ**﴾ [النساء: ٩٢] .

فهذا هو الاحتمال الوحيد فى الحس الإسلامى وهو الاحتمال الحقيقى فى الواقع . فإن وجود المسلم إلى جوار المسلم مسألة كبيرة جداً ونعمة عظيمة جداً حيث تجمع المسلمين العقيدة والقرابة فى رسول الله ﷺ ثم ترتقى فتجمعهم فى الله سبحانه وتعالى الذى ألف بين قلوبهم ذلك التأليف الربانى العجيب :

﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً**﴾ [النساء: ٩٣] .

إنها جريمة قتل لا لنفس فحسب بغير حق ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العظيمة التى أنشأها الله بين المسلم والمسلم إنها تنكر للإيمان ذاته وللعقيدة نفسها وبالتالى فمن العسير أن يقدم مسلم على ذلك بسهولة وهو أكبر أمن للنفس فى المجتمع الإسلامى .

ولم يقتصر الأمن فى الإسلام على النفوس البشرية إنما تجاوزه إلى مخلوقات الله المتنوعة . فقد حدث أن صحابياً أخذ بعض أفراخ طير من تحت أمه فغضب الرسول ﷺ لذلك وأمره أن يرد الأفراخ إلى أمها وذلك حتى لا يفزع تلك الأم .

ولقد أعلنها عمر رضى الله عنه صريحة مدوية عبر التاريخ : لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى الله عنها لم . لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟

وقال ﷺ « **إن الفاجر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب** » وهل يستريح العباد والشجر والدواب إلا من اعتداء الفاجر عليه بالقتل أو الهدم أو التعذيب ؟

ويردد لنا التاريخ حرص الإسلام على النفس بصفة عامة فى تلك الوصية التى كان يوصى بها الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق ــ الجيوش الإسلامية وهى ذاهبة لقتال العدو فى الميدان فيقول لهم : لا تقتلوا شيخاً ولا امرأة ولا صبياً ولا تقطعوا شجراً ولا تذبحوا من الأنعام إلا للطعام وستجدون قوماً فى الصوامع فدعوهم وما يدينون . فأى خوف من الموت إذن يمكن أن ينتاب الإنسان فى مجتمع مسلم وأى أمان تشعر به النفوس فى ذلك المجتمع . فالموت على كل الوجوه هو لقاء الله عز وجل فما أعظمه من لقاء وخاصة إذا كان هذا الموت فى سبيل الله وعلى سنة رسوله الكريم .

الخوف من فوات الرزق لا معنى له فى الإسلام :

لأنه من بديهات العقيدة الإسلامية أن الرزق بيد الله يوزعه بحكمة وعدل على عباده :

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ [الشورى:١٢] .

﴿ **وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم** ﴾ [الحجر: ٢١] .

﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات : ٢٢] .

وهكذا يحدد المنهج الربانى بوضوح ويقين مصدر الرزق وتوزع الأرزاق حتى يكد المسلم ويجتهد فى الحياة بدون قلق أو خوف لأنه على يقين أن رزقه سيأتيه من خالق السموات والأرض فدستور المسلم وهو القرآن العظيم حافل بما يؤكد هذا اليقين :

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار﴾ [يونس : ٣١] .

﴿أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ [النمل : ٦٤] .

﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله﴾ [سبأ : ٢٤] .

﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ [فاطر : ٣] .

﴿أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور﴾ [الملك : ٢١] .

والمؤمن على يقين أن هذا الرزق يتفاوت فيه الخلق لحكم كثيرة أرادها الحق سبحانه وتعالى تختص بعلمه وحده : **﴿والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق﴾** [النمل : ٧١] .

﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ [الشورى : ١٩] .

﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾
[الزخرف : ٣٢] .

وهكذا يعالج الإسلام ضعف النفس وحرصها وشحها وتصورها الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة . فيقرر الله تلك الحقيقة الأزلية وهى أن الرزق بيد الله لبث عوامل الطمأنينة فى نفس المؤمن فيسعى لطلب الرزق دون أن يشغله ذلك عن اقامة دعائم الحق :

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾
[الطلاق : ٣] .

﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾
[الأنعام : ١٥١] .

﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾
[الإسراء : ٣١] .

﴿ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [الملك : ١٥] .

إذن فليس هناك أدنى شك عند المؤمن الواثق بربه أن الرزق بيد الله فلا داعى للخوف ولا داعى للانقياد لتلك النفس الأمارة بالسوء بل عليه السعى لذكر الله والمشى فى مناكب الأرض والتوكل على الله . قال الصادق المعصوم : « **لو توكلتم على الله حق تكاله لرزقكم كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا** » . فليطمئن المؤمن نفسه وليقل لها دائما :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خلق الإنسان من عجل

وها هو الحى القيوم يزيل ما بقى عالقاً بالنفوس من مخاوف بصدد الرزق فيقول جل شأنه فى حديث قدسى قريب من نفس المؤمن :

« ابن آدم خلقت السموات والأرض ولم أعيى بخلقهن أفيعيينى رغيف أسوقه إليك كل حين . ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فإن خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزق . وعزتى وجلالى إن لم ترض بما قسمت لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمت لك ولا أبالى » .

إذن على المؤمن إقامة دعائم الحق وعلى الله الرزق . فإذا تعرض للفتنة فى الدين فأمامه الهجرة فى سبيل الله حيث يجد فى الأرض متسعاً للرزق ومنطلقاً للنجاة والحياة : ﴿ **ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة** ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فالهجرة فى سبيل الله هى الشرط والأساس لوجود الخير والأمن فى الأرض . أما الهجرة للثراء أو الفرار من الحق أو لأجل الحصول على الملذات والشهوات فلا تدخل ضمن الوعد الإلهى .

ــ أما الخوف من أنواع المخاطر والصعاب : فله العلاج فى الصيدلية الإسلامية : لأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يعلم حقيقة النفس البشرية وأنها قد تحجم أمام الصعاب والمخاطر وقد تيأس فيعالجها الله باستجاشتها وطمأنتها فى آن واحد ويأخذ بيدها فى كل موقف من مواقف الحياة لتجتازه بعقيدة إيمانية ثابتة ويقين لا يتزعزع بنصرة الحق سبحانه وتعالى :

☐ فعند لقاء العدو عندما تأتى تلك اللحظات التى تعلو فيها المشقة على الطاقة ويربو الألم على الاحتمال يحتاج القلب البشرى إلى مدد وإلى زاد سماوى علوى . هنالك يأتى المدد من هذا المعين ويأتى الزاد من رب العالمين الرحمن الرحيم فيقول جل شأنه : ﴿ **ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً** ﴾ [النساء : ١٠٤] .

هكذا يطمئنهم الحق جل وعلا : أنهم إن كانوا يحتملون آلام المعركة بجميع أنواعها فليسوا وحدهم الذين يتحملونها .. بل إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والألم ولكن شتان بين الفريقين فالمؤمنون يتوجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم وهذا يسبغ عليهم الأمن والطمأنينة فى المعركة لأن عاقبتهم كلها خير فإما النصر وإما الشهادة أما الكفار فهم ضائعون مضيعون لا يتجهون لله ولا يرتقبون عنده شيئاً فى الحياة ولا بعد الحياة :

﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً ﴾ [هود : ٢٤] .

﴿ قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ [المائدة : ١٠٠] .

﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [النساء : ٧٤] .

ولربما أتت على العصبية المؤمنة فترة تكون فيها فى معركة مكشوفة غير متكافئة ولكن القاعدة لا تتغير فالمؤمن دائماً بخير لأنه يتلقى مدداً إيمانياً يختلف فى طبيعته وقوته عن مدد الأعداء . ذلك المدد يصل إليه فى إشعاعات نورانية تلقى فى صدره الأمن والجرأة لأن الحق يخاطبه بها فيقول عز من قائل :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [محمد : ٧] .

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا﴾ [غافر : ٥١] .

﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ [الحج : ٤٠] .

ولما كانت المخاطر والصعاب التى يواجهها المؤمن لا تتعلق بالحرب فقط بل هناك الكثير من الاختبارات الإيمانية التى يتعرض لها المؤمن بالابتلاءات الإلهية . فمازال هناك الكثير فى منهج العلاج من الصيدلية الإسلامية . يقول الصادق المعصوم فى حديث جامع شامل لمواجهة تلك المخاطر والصعاب .

« **حصنوا أموالكم بالزكاة وداوو مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالتضرع والدعاء** » . ويقول أيضا صلوات ربى وسلامه عليه : « **صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب** » .

وهكذا فلا خوف من البلاء بل صبر وطمأنينة وسكينة من عند الله :

﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ [البقرة : ١٥٦] . وننتقل الآن إلى الفرع الثانى من المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن للنفس وهو علاج اليأس .

٢ ــ علاج اليأس :

إن اليأس لا مكان له إطلاقاً فى أساسيات العقيدة للمسلم لأن المنهج الإسلامى اهتم بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة حية له فى شعورها وسلوكها فيرى الناس صورة الإيمان فى هذه النفس فتكون شهادة لهذا الدين بدعوة الناس إليه وبيان فضله ومزيته حيث صاغ نفوس أصحابه على هذا المثال من الخلق والكمال .

فاليأس يشتت قوى الإنسان ويذهب نفسه حسرات ويجعله عضواً غير نافع فى المجتمع الإنسانى بل إنه عضو ضار ينقل عدوى اليأس والإحباط إلى غيره وينشر القلق والفشل بين الناس . وهو أخطر ما يهدد المجتمعات بصفة عامة ولذلك فهناك قاعدة أساسية فى بناء المجتمع الإسلامى مكتوب على بابها : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فاليأس معناه الشك فى قدرة الله ولذلك فهو يعادل الكفر . أما المؤمن فهو يعلم علم اليقين أن بيده مقاليد الأمور : ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير** ﴾ [الأنعام : ١٧] .

﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ [التوبة : ٥١] .

وبالتالى فعليه أن يسعى لتذليل كل ما يقابله من صعوبات فى الحياة : « **لأن الله لم يخلق داء إلا وجعل له دواء** » . كما قال لنا الصادق المعصوم فيجب أن يعمل ذهنه فى البحث عن هذا الدواء مهما عز أو ندر . فما خلقنا فى هذه الدنيا إلا لنكد ونتعب فيها وننتصر على كل ما يواجهنا من متاعب الحياة . وهذا الانتصار فى حد ذاته هو ما يؤهل المؤمن لدخول الجنة حيث لا يشقى بعدها أبداً : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

﴿ **أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون** ﴾ . [التوبة : ١٦] .

إن الخالق العليم بخبايا النفس البشرية يعلم أن الإنسان يميل إلى التراخى وحب النعيم الدائم أما الابتلاءات الإلهية التى تضطره إلى الكفاح والمجاهدة فإنها قد تدفع به إلى اليأس فيحدثنا عن ذلك فى قرآنه الحكيم فيقول عز من قائل : ﴿ **ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور** ﴾ [هود : ٩] .

﴿ **لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط** ﴾ [فصلت : ٤٩] .

﴿ **وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا** ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

ولكن هذا يتعارض مع البناء الأساسى للعقيدة الإسلامية التى ترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة والتى ترد الأمر كله لله . فليعلم المسلم أنه مهما أحاطت به المحن فإنه بإيمانه بالله والإلتجاء إليه والتوكل عليه والاستمساك بمنهجه سيجتاز تلك المحن بمشيئته الله تعالى ويشعر بعدها بقرب أكثر من الله وبسعة رحمته : ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم** ﴾ [التوبة : ١١٨] .

فالإسلام دين العمل والجهاد والصبر والثبات والبذل والتضحية . أما اليأس فمعناه انحراف عن ذلك الدين القيم واتجاه فى طريق الضلال والعياذ بالله :

﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فليتمسك المؤمن بدينه الذى ارتضاه وينفذ كلام ربه العظيم وسنة رسوله الذى أرسله الله رحمة للعالمين . وحينذاك سيكون بينه وبين اليأس بعد المشرقين :

﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ [الحجر : ٥٦] .

وهكذا فلا يأس مع الإيمان ولا إيمان مع اليأس بل رجاء فى رحمة الله وعفوه ورضاه وامتثال لأوامره واجتناب نواهيه فالبشرى تتردد مع آيات الله البينات :

﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ [الزمر : ٥٣] .

[إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً] [آل عمران : ١٢٠] .

﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف : ٥٦] .

تلك الرحمة هى التى تشفى صدور قوم مؤمنين وتخرجهم من الظلمات إلى النور وتبعدهم عن مهاوى اليأس والهلاك وتنجى كل من دعا ربه فى أحلك لحظات حياته . يحدثنا المولى سبحانه وتعالى عن آثار رحمته التى تنجى عباده المؤمنين من كل كرب فيقول عز من قائل :

﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا﴾ [الأعراف : ٧٢] .

﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ [يونس : ٨٥] .

﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ [هود : ٦٦] .

﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ [هود : ٩٤]

﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ [الكهف : ٨٢] .

﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ [مريم : ٢] .

﴿ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ [الأنبياء : ٨٤] .

﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ﴾ [الروم : ٥٠] .

﴿ قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ [فاطر : ٢] .

فكيف يكون هناك يأس مع دين ربه هو الرحمن الرحيم ورسوله هو نبى الرحمة ومن مواد دستوره **﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾** [الزمر : ٥٣] .

فإذا عرفنا أيضاً عدد الآيات التى ذكرت فيها كلمة الرحمة تبلغ ٣٣٩ آية لأيقنا عظمة هذا الدين فى علاج النفس البشرية من أكبر آفاتها التى تحرمها من أعظم نعمة فى الوجود ألا وهى الأمن . فكيف إذن يشعر إنسان مؤمن باليأس وهو يعلم علم اليقين أنه يعيش فى كنف الرحمن الرحيم .

٣ ـ علاج مساوىء الأخلاق والدعوة إلى مكارمها :

لا يدرك حقيقة نعمة الأمن فى هذا الدين ولا يقدرها قدرها من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها والجاهلية فى كل زمان ومكان هى تلك النفوس التى لم تتأدب بأدب الله ولم ترتوِ من معين العلم الإلهى . ولذلك فقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالجانب الأخلاقى لأن تلك الأخلاق

هى المرآة الحقيقية لقياس حضارة الشعوب وتقدمها الروحى فحين تتشرب النفوس حلاوة الإيمان فإنها تشع بهجة وصفاء وتنشر الأمن والطمأنينة على كل من حولها .

وها هو المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه يحدد بوضوح لا ريب فيه اهتمام المنهج الإسلامى بالأخلاق لأنها المعول فى بناء المجتمعات الآمنة الراقية إلى السموات العلى فيقول : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

بل إنه لا يكتفى بذلك بل يحدد بوضوح أكثر أن التعامل بين الناس هو المقياس الحقيقى لدرجة الإيمان لأنه انعكاس لنفوس تأدبت بأدب الإسلام فيقول الحبيب المصطفى ﷺ : « **الدين المعاملة** » .

ويقول أيضا معلم البشرية وهاديها إلى الرشد والخير :
« **الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل** » .

والمنهج الإسلامى لتهذيب النفوس وإزالة كل ما يكدر صفوها ويحرمها من متعة الأمن ــ الذى يمكن أن تتمتع به النفس المؤمنة غنى وزاخر ويجل عن الوصف فضلا عن الحصر ولذلك سنجتهد بعون الله فى اقتطاف بعض رياحين ذلك المنهج كنماذج للاستشهاد على كلامنا . أما المنهج ككل فلا يدرك خباياه إلا من صدق الله ورسوله فى السر والعلن وتذوق حلاوة الإيمان وبهجتها لأن الحبيب محمد ﷺ قال : ﴿**من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم**﴾ .

من معالم ذلك المنهج الربانى لتهذيب النفوس :

١ ـــ الوفاء بالعهود :

قال تعالى : فى التأكيد على الوفاء بالعهود فى كل صورها طالما أنها فى حدود ما أمر به الله ورسوله :

﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** ﴾ [النحل : ٩١] .
﴿ **ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ [الفتح : ١٠].
﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلًا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة** ﴾ [آل عمران : ٧٧] .

وقال رسول الله ﷺ : « **لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له** » . وهكذا فلا يحل لمسلم أن يخون الله ورسوله وبالتالى لا يخون أخاه المسلم الذى ارتبط معه بو شيجة القرابة فى الله ورسوله . إنه مجتمع يسوده الأمن على الوفاء بالعهد لأن نفوس أفراده انتهلت من معين سماوى علوى فاطمأنت بنور الله .

٢ ـــ رعاية الحقوق :

حرص الإسلام حرصاً شديداً على تربية النفوس على رعاية حقوق الغير وهذا فى حد ذاته حفظاً لحقوق المسلم نفسه . لأن القوانين الإلهية شملت تحديد حقوق المجتمع بأسره سواء كانت حقوق الأبوين أو الزوجين أو الأبناء أو الأهل والجيران والأحباب . حتى أهل الديانات الأخرى لهم أيضا حقوق . وبالتالى فإن مراعاة تلك الحقوق جميعها تنشر الأمن بين أفراد المجتمع المسلم فيسعى كل فرد لبناء المجتمع وهو قرير العين مطمئنا على نفسه وماله وعرضه لأنه يعيش فى ظل دستور الحيكم الخبير . ويسير على سنة رسوله الكريم الذى قال فى حديث جامع شامل : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » .

بل وصل التشدد الإسلامى فى رعاية حقوق الغير إلى أقصى مداه فحرم الاعتداء على تلك الحقوق التى تؤدى إلى فزع أصحابها حتى ولو كان ذلك على سبيل المزاح فقد حدث أن صحابياً أراد أن يمزح فأخفى نعل أخيه فلما

بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب وقال « **من فزع مسلماً فليس منا** » .

٣ ــ محاربة النفاق :

إن النفاق فى حقيقته هو الضعف عن الإصرار على الحق فى مواجهة الباطل وهذا الضغط هو ثمرة الخوف والطمع وتعليقها بغير الله . ولا يخفى على أى عاقل ما للنفاق من آثار هدامة على المجتمعات البشرية لأنها تنشر القلق بين الناس على حقوقهم التى تضيع بسبب تمسكهم بالحق فى نفس الوقت الذى يرون فيهٍ فئات تنمو وتحقق السيادة لأنها تتحلق بالباطل وهذا بدوره يؤدى إلى الإحباط لدى النفوس التى تكد وتشقى ولا تجد ثمار عملها علاوة على انتشار جميع الأمراض الأخلاقية التى تفتك بالمجتمع نتيجة انتشار النفاق مثل الغش والمحسوبية والرشوة والتهاون فى الانتاج وتدهوره وظهور قوى الشر على قوى الخير لأنها تجد من يدعم سلطتها بالنفاق .

ولذلك وضع الحق سبحانه وتعالى أبشع أنواع الجزاء للمنافقين حتى يكون العقاب رادعاً عن التمسك بهذه الخصلة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فقال تعالى :

﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً** ﴾ [النساء : ١٣٨] .
﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار** ﴾ [النساء : ١٤٥] .
﴿ **نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ [التوبة : ٦٧] .
﴿ **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم** ﴾ [التوبة :٦٨] .

٤ ــ تطهير ضمائر المجتمع المسلم :

ركز المنهج الإسلامى على رفع المستوى الخلقى والنفسى للمجتمع المسلم حتى تشيع الثقة المتبادلة بين المؤمنين ويعيش الجميع فى أمن من انقطاع

روابط المودة والألفة بينهم الناتجة عن : سخرية الناس بعضهم من بعض أو الجهر بالسوء أو التنابز بالألقاب أو سوء الظن الذى يحيط كثيراً من أعمال الخير ويؤدى إلى الصاق التهم بالأبرياء أو التجسس الذى يحرم الناس من حق الأمن على أسرارهم أو الغيبة والنميمة التى تجعل الإنسان غير آمن على ما يقال فى غيابه من كشف عوراته أو الحاق الضرر والأذى به . وكل هذه مساوىء أخلاقية إذا انتشرت فى أى مجتمع انتشر معها كل عوامل القلق النفسى وهضم الحقوق وتدمير كيان الإنسان ببعثرة ما تحتويه سريرته على ألسنة الخلق .

والويل كل الويل لمجتمع يعانى من تلك الأمراض أنه يحرم من كل أمن ومن كل سعادة ومن كل طمأنينة . ولذلك فقد كان التركيز الإسلامى على تلك الناحية عميقاً كل العمق حازما كل الحزم . نكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الآيات القرآنية التى تنهى عن ذلك ويكفى أن النهى من رب العالمين ملك الملوك الأعظم . قال رب العزة جل شأنه فى إرساء المنهج الربانى لتطهير ضمائر عباده المؤمنين : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾** [الحجرات : ١١] .

﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوًّا قديراً ﴾ [النساء : ١٤٨] .

وهكذا فإن الحكيم الخبير يعلم شدة حساسية المجتمعات وأنها فى حاجة إلى آداب اجتماعية تتفق مع هذه الحساسية ورب كلمة عابرة لا يحسب قائلها حساباً لما وراءها ورب شائعة عابرة لمن يرد قائلها بها إلا فرداً من الناس ولكن هذه وتلك تترك فى نفسية المجتمع وفى أخلاقه وفى تقاليده وفى جوه آثاراً مدمرة تشيع القلق والفساد وتتجاوز الفرد المقصود إلى الجماعة الكبيرة ومن هنا كانت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهى عن مذمومها من أعظم نعم الله لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة .

٥ ـ ضبط النفس وسماحة القلب :

إن هذا الخلق هو من أهم العوامل التى تحقق الأمن فى المجتمعات الإسلامية لأنه ليس من حق المسلم فى فورة الغضب التى تذهله ودفعة الشنآن أن يعتدى على الغير بل إنه بالاستعانة بالله يمكنه كَبْت مشاعر الغضب التى قد تمتد إلى مدى لا يحمد عقباه بل إنه يمكنه التسامى والتسامح بتقوى الله وطلب مرضاته : ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا**﴾ [المائدة : ٢] .

﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ [آل عمران : ١٣٤] .

ويقول الله فى حديثه القدسى : ﴿**عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق**﴾ .

إنها القمة فى ضبط النفس وسماحة القلب تليق مع أمة مكلفة من ربها جاءت لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تنشر الأمن والعدل حتى مع الغضب والكره فأى أمن أعظم من أن يأمن الإنسان شر من يركهه ؟

٦ ـــ تجنيد النفس فى وجه ذاتها وفى وجه عواطفها :

لما كانت النفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربى لذا كان هناك الكثير من التوجيهات الإلهية لحماية تلك النفس من الذهاب حسرات فى الدنيا والآخرة . من تلك التوجيهات :

﴿لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] .

إنه نهى عام عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض سواء أى نوع من أنواع التفضيل فى الوظيفة والمكانة وفى الاستعدادات والمواهب وفى المال والمتاع . لأن هذا فيه إضاعة النفس فى التطلع والحسد وما يصاحبه من حقد وحنق وشعور بالضياع والحرمان والتهاوى والتهافت أمام هذا الشعور مما يذهب بطمأنينة النفس ويورث القلق والنكد ولذلك كان النهى فى صالح المؤمن لتحقيق الأمن له . فعليه أن يتوجه إلى مصدر الإنعام والعطاء موئل الطمأنينة والرجاء ومبعث الايجابية فى تلمس الأسباب إلى الله الخالق الرازق . **﴿يا أيهاالذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾** [النساء : ١٣٥] .

إنه تجنيد للنفس المؤمنة فى مواجهة عواطفها لإقامة العدل حتى ولو كان هذا ضد أقرب الناس إلى تلك النفس ولكنه المنهج الإسلامى لإرساء دعائم العدل والحق لأنها الأساس فى إشاعة الأمن والطمأنينة فى المجتمعات بأسرها .

٧ ــ المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى :

إن توثيق تلك العلاقات بين الناس نابع من أهمية ترابط أفراد المجتمع بحيث يصبحون جميعاً كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قال الصادق المعصوم وقد سئل أى العمل خير ؟ قال : « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » .

هذا فى إفشاء السلام ابتداء وهو سنة أما الرد عليه فهو فريضة بقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شىء حسيبا** ﴾ [النساء : ٨٦] .

□ إن المجتمع الإسلامى بنى على السلام والأمن والحب وصلة الرحم . قال ﷺ : « **ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا** » . وقال : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » .

وقال أيضاً : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

□ إنه مجتمع قام منهجه على الإحسان للوالدين ولذى القربى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى** ﴾ [النحل : ٩٠] .

□ وبنى منهجه على الإحسان للجار . قال ﷺ : « **ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثنى** » .

□ والإحسان إلى اليتيم ورعايته : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾ [الإسراء : ٣٤] .

□ والإحسان فى الميزان : ﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير**

وأحسن تأويلا ﴾ [الإسراء : ٣٥] .

□ والإحسان فى القول : ﴿ **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

□ والإحسان فى الرد على الإساءة : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** ﴾ [المؤمنون : ٩٦] .

□ والإحسان فى أداء الحقوق لأصحابها : ﴿ **فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

فأى أمن بعد ذلك لنفوس تهذبت بتلك التعاليم الربانية ؟ وأى أمن لمجتمع تشربت نفوس أفراده تلك النفحات الإلهية ؟ وأى منفذ تركه الخبير الحكيم لأطباء علم النفس كى يلجوا منه لمعالجة ما لم يعالجه الرحمن الرحيم ؟

إنها تلك النفوس المطمئنة التى استجابت لله والرسول فكان عاقبة أمرها رشداً ورجعت إلى ربها راضية مرضية : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾
[الفجر : ٢٧ ـــ ٣٠] .

ثالثاً ـــ تحقيق الأمن للعقل :

جاء الإسلام فى ختام الرسالات السماوية ليعد البشرية للرشد العقلى ويؤهلها لاستخدام أعظم نعمة وهبها الله للإنسان وهى العقل استخداماً كاملًا فى ادراك الحق الذى تنبث آياته فى صفحات الوجود وفى أسرار الكون الذى جاء القرآن لكشفه وتجليته .. ولذلك فقد اهتم المنهج الربانى بتكريم العقل الإنسانى لأنه أداة الإدراك البشرى ووسيلته فى تلقى الوحى الإلهى وإدراك مدلولاته وكان أعظم تكريم لذلك العقل هو تحقيق الأمن له

حتى لا يتخبط تحت ضغط النزعات والشهوات والأهواء ويتيه فى خضم الحياة وحتى لا يكون لله على الناس حجة بعد ذلك كما أنبأنا بذلك فى دستوره الحكيم . ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ [النساء : ١٦٥] .

وقد شمل هذا المنهج الربانى لتحقيق الأمن للعقل عدة نقاط نعرضها فيما يلى :

١ ــ حماية العقل بالوحى الإلهى :

إن الله العظيم الرحيم الحكيم لا يدع هذا الكائن الإنسانى وحده فهو الذى خلقه وهو يعلم سره وجهره وطاقاته وقواه ونقصه وضعفه وحاجته إلى الموازين القسط التى يرجع إليها بتصوراته وأفكاره وأقواله وأعماله وأوضاعه ونظامه ليرى إن كانت صواباً وصلاحاً أو كانت خطأً وفساداً .

ويعلم سبحانه وتعالى أن العقل الذى أعطاه له يتعرض لضغوط كثيرة من شهواته ونزواته ومطامعه ورغباته فضلاً على أنه موكل بطاقات الأرض التى له عليها سلطان بسبب تسخيرها له من الله وليس موكَّلا بتصور الوجود تصوراً مطلقاً ولا بصياغة الأسس الثابتة للحياة .

فهذا مجال العقيدة التى تأتى له من الله فتنشىء له تصوراً سليماً للوجود والحياة .. ومن ثم وحماية لهذا العقل ورده إلى صحته وسلامته فإن الله يكل الناس إلى وحيه ورسله وهداه وكتبه وهذا هو الذى يليق بكرم الله وفضله ورحمته وعدله . فما كان ليخلق البشر ثم يتركهم سدى ، ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يبعث فيهم رسولا : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ [الإسراء : ١٥] . فتقدير الله حق قدره يقتضى الاعتقاد بأنه أرسل إلى

عباده رسلا يستنقذون فطرتهم من الركام ويساعدون عقولهم على الخلاص من الضغوط والانطلاق للنظر الخالص والتدبر العميق وأنه أوحى إلى هؤلاء الرسل منهج الدعوة إلى الله وأنزل على بعضهم كتبا تبقى بعدهم فى قومهم إلى حين ـــ ككتب موسى وداود وعيسى أو تبقى إلى آخر الزمان كالقرآن العظيم الذى جاء به محمد ﷺ رحمة للعالمين .

وهكذا فإن الله قد جعل حجته على الناس هى الوحى والرسالة ولم يجعل هذه الحجة هى عقلهم البشرى ولا حتى فطرتهم التى فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والإيمان به ، لأن الله سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل وأن الفطرة وحدها تنحرف وأن لا عاصم لعقل ولا لفطرة إلا أن يكون الوحى هو الرائد الهادى وهو النور والبصيرة والواقع يشهد أن الحياة الإنسانية التى قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو العلم هى أبأس حياة يشقى فيها الإنسان مهما فتحت عليه أبواب كل شىء ومهما تضاعف الانتاج والايراد ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق ومن هنا كان الوحى حماية للعقل وأمنا له بدل التيه فى الفلسفات المادية : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك** ﴾ [الإنفطار : ٧] .

﴿ **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم** ﴾ [آل عمران : ١٦٢] .

﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

٢ ـــ تحريم المسكرات التى تذهب بالعقل :

حرص الإسلام حرصاً بالغاً على الحفاظ على العقل لأن الإنسان عليه تكاليف وأعباء جسام يحتاج فيها إلى طاقاته العقلية فى كل لحظة من الحياة ،

وإنه لمن الخسارة بمكان أن تذهب هذه الطاقات العقلية فى غير صالح الإنسان وفى غير صالح المجتمع المسلم . ومن هنا كان تحريم الإسلام للمسكرات بجميع أنواعها سواء كانت الخمر أو المخدرات أو أى نوع من أنواع العقاقير التى تؤثر على خلايا المخ وتؤدى إلى الهلوسة . فمن العبث أن يبدد الإنسان أغلى ما يملكه فى سبيل ارضاء شهوات ونوازع مؤقتة تعرضه للضلال والانحراف وسوء الرؤية وسوء التقدير مما قد يزلزل حياته وحياة أسرته ثم حياة المجتمع بأسره . فضياع العقل بدون شك يسبب حوادث تفقد المجتمعات لذة الأمن وحلاوته . قال تعالى فى كتابه الكريم محرماً الخمر على عباده المؤمنين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة : ٩٠] .

ثم بين جل شأنه حكمة هذا التحريم بأنها السبيل إلى وقوع العداوة والبغضاء والتشاحن بين الناس وأنها تمنع عن ذكر الله واقامة الصلاة فقال سبحانه وتعالى : « **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » [المائدة : ٩١] .

وإذا عرفنا كما سبق أن ذكر الله يشمل كل عمل يقوم به المسلم وقلبه متصل بالحق لتبين لنا مدى الخسارة التى تتحقق من المسكرات لأنها تحرم المجتمع من ثمار عقل واع اتصل بقلب مطمئن بالحق فأنتج روائع العقل البشرى ، هذا فضلا عما تشيعه المسكرات من بقية المساوىء الأخرى التى تشيع القلق فى المجتمعات البشرية وتحرمها من الأمن والطمأنينة .

٣ ـ دعوة العقل إلى جولة فى الآفاق :

إن هذه الدعوة فى حد ذاتها هى تحرير للعقل من القيود التى تكبله

وتجعله يتعثر تحت ضغط الحاجات والمطالب حيث إنه بتجوله فى الآفاق سيشعر بعظمة الخالق وقوته فيستمد منه مدداً وقوة لينهض بالأعباء التكليفية التى خلق من أجلها ، كما أن هذه الجولة ستوقظه من سبات الغفلة وتفتح ما فيه من أذن واعية ومن طاقة فكرية : ﴿**إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

﴿**أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها**﴾ [الحج : ٤٦]

﴿**وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**﴾ [البقرة : ١٦٤] .

إن هذه الدعوة بلا شك موعظة وعبرة من كل الوجوه :

☐ **فهى** تشبع فى العقل البشرى حبه إلى المعرفة والإذعان أمام القوى المادية ، ولهذا وجه المنهج الربانى الإدراك البشرى لملاحظة بدائع الصنعة الإلهية فى الوجود كله وهى فى ذاتها خوارق معجزة ولكنها خوارق دائمة يقوم عليها كيان الوجود ويتألف منها قوامه : ﴿**أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم**﴾ [الإسراء : ٩٩] .

﴿**وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً**﴾ [مريم : ٩] .

﴿**أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض**﴾ [الأعراف : ١٨٥]

﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**﴾ [ق : ٦، ٧] .

﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت**﴾
[الغاشية : ١٧ — ٢٠] .

□ وهذه الدعوة فيها شحذ للعزائم فيعرف الإنسان أن حل مشاكله ليس بالتراخى وندب الحظ إنما بالعمل والتفكير والإرادة :

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾
[العنكبوت: ٢٠].

﴿خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون﴾
[الأنبياء : ٣٧] .

﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [البقرة: ١٦٤] .

□ إن هذه الدعوة فيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾
[الروم : ٤١] .

﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾
[الصافات : ١٣٨] .

٤ ــ مخاطبة العقل بما هو أهل له :

لا يوجد منهج يكرم العقل الإنسانى مثلما يكرمه الإسلام ولا يوجد دين يشبع التطلعات العقلية ويجيب على تساؤلاتها مثلما يجيب الإسلام ولا عجب فإنه خاتم الأديان المتطورة إلى آخر الزمان والأجيال .

وقد نطق بهذه الحقيقة أعرابى على فطرة الله لم يتلون بأجهزة التوجيه والتأثير من شياطين الجن والإنس عمدا سأله الناس : لم آمنت بمحمد ؟

فقال : لأن دينه لم يأمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر . وما نهى دينه عن شيء وقال العقل ليته ما نهى . ولذلك فقد قام القرآن أساساً على مخاطبة العقول البشرية لتدرك الحقيقة الأولى وهى أن هذا الدين من عند الله .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [النساء : ٨٢] .

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد : ٢٤] .

﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾ [المؤمنون : ٦٨] .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ [ص : ٢٩] .

وقام القرآن ثانياً على وجود أحكام أساسية الحكم فيها لله وذلك حماية للعقل لأنه لا يدرك إلا إدراكاً ناقصاً فى المدى المحدود ويستحيل أن ينظر من جميع الزوايا وإلى جميع المصالح لا فى اللحظة الواحدةلا ولا فى التاريخ كله بينما شريعة الله تنظر هذه النظرة فلا ينبغى أن يكون الحكم فيها أو فى حكم ثابت قطعى من أحكامها موكولاً إلى الإدراك البشرى قال تعالى :

﴿ إن الحكم إلا لله يقصى الحق وهو خير الفاصلين ﴾ [الأنعام : ٥٧] .

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ [المائدة : ٥٠] .

﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ [الأنعام : ٦٢] .

﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ [الرعد : ٣٧] .

وقام القرآن ثالثاً على فتح المجال للعقول البشرية فيما لا نص فيه مما يجد من الأقضية فى حدودها أمر به الله ورسوله ، وهذا هو مجال الاجتهاد .

الحقيقى بالقدر الذى أراده الله له من التكريم فى مجاله الذى يحسنه وهو معرفة نواميس الكون والإبداع فى عالم المادة وهو ملك عريض . وقد اقتضى هذا الأمر تربية طويلة وتوجيهاً كبيراً حتى يألف الإدراك البشرى هذا اللون من النقلة وهذا المدى من الرقى وحتى يتجه الإنسان إلى قراءة سفر الوجود بإدراكه البشرى فى ظل التوجيه الربانى والضبط القرآنى والتربية النبوية . قراءة هذا السفر قراءة غيبية واقعية إيجابية فى آن واحد وبذلك ينقل البشرية إلى عهد الرشد العقلى الذى يتلاءم مع تطور الأجيال .

﴿ **قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض** ﴾ [يونس : ١٠١] .

﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق** ﴾ [الطارق : ٥، ٦] .

﴿ **انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه * إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ [الأنعام : ٩٩] .

﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان بحق خير من بلغ الرسالة وأدى الأمانة حيث كان فى كل خطوة من خطواته سلوكاً تطبيقياً للمنهج الربانى فاستنهض الهمم ووضع العقل البشرى فى مكانته اللائقة به فكان يستشير أصحابه فى كل الأمور التى لم ينزل بها وحى وفتح مجال الاجتهاد على مصراعيه حيث قال إنه للمجتهد إذا أصاب أجران وإذا أخطأ أجر .. فأى تقدير للعقل أعظم من هذا الأمن : فهناك كتاب الله وسنة رسوله الكريم وسنة الخلفاء الراشدين ، لا يمكن أن يضل عقل أبدا استضاء بنورهم وسار فى هديهم واجتهد ما وسعه الجهد تحت ظلهم . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ [طه : ١٢٣] .

﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾
[لقمان : ٦] .

﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾
[الأنعام : ١٤٤] .

حقاً إن هدى الله هو الأمان للعقل وهو نور للفؤاد وماذا بعد الهدى إلا الضلال ؟!!

رابعاً ـــ تحقيق الأمن للعرض :

إن الإسلام عندما حدد منهجه فى الحفاظ على العرض كان هدفه هداية الناس وحمايتهم من عوامل القلق من الانحراف فى الهاوية وإعانتهم على التسامى فى المرتقى الصاعد إلى السماوات العلى . ولذلك فقد اهتم اهتماماً بالغاً بميدان الحفاظ على الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة التى يحب الله أن يلتقى عليها الرجال والنساء وتحريم ما عداها من الصور وتبشيعها وتقبيحها فى القلوب والعيون لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال تعالى موضحاً نعمته الكبرى ومنته العظمى علينا : **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** [الروم : ٢١] .

وقال جل شأنه : **﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾** [النحل : ٧٢] .

إنها القاعدة الأولى فى نظام المجتمع الإسلامى هى الأسرة : جعلها الإسلام وحدة المجتمع وأصدر من القوانين والتشريعات الإلهية ما يحقق صيانة هذه الأسرة من كل شائبة ومن كل اختلاط فى الأنساب ينشأ من

شيوعية الإتصال الجنسى أو ينشأ من انتشار الفاحشة وتلوث المجتمع بها ومن أهم تلك القوانين فرض عقوبات صارمة على الزانى والزانية : فإن لم يكونا متزوجين : قال تعالى : ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ [النور ٢] .

وإن كانا متزوجين : ما ورد فى الحديث الشريف : « **كان مما يتلى الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله** » .

إن الأسرة القائمة على الزواج العلنى الذى تخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه ويتم به الإحصان وهو الحفظ والصيانة هى أكمل نظام يتفق مع فطرة الإنسان وحاجاته الحقيقية الناشئة من كونه إنساناً لحياته غاية أكبر من غاية الحياة الحيوانية وإن كانت تتضمن هذه الغاية فى ثناياها ويحقق أهداف المجتمع الإنسانى كما يضمن لهذا المجتمع الأمان المطلق : أمن الضمير وأمن البيت وأمن المجتمع فى نهاية المطاف .

والملاحظ بصفة ظاهرة أن الطفل الإنسانى يحتاج إلى فترة رعاية أطول من الفترة التى يحتاج إليها طفل أى حيوان آخر . كما أن التربية التى يحتاج إليها ليصبح قادراً على إدراك مقتضيات الحياة الإنسانية الإجتماعية تمتد إلى فترة طويلة أخرى . لذلك فإن غاية الميل الجنسى فى الإنسان لا تنتهى عند تحقيق الإتصال الجنسى والتناسل مثل الحيوان بل تمتد إلى هدف أبعد هو الارتباط بين الرجل والمرأة ليتم إعداد الطفل الإنسانى بحمايته وحفظ حياته وتزويده برصيد من التجارب الإنسانية والمعرفة الإنسانية مما يؤهله للمساهمة فى حياة المجتمع الإنسانى والمشاركة فى رقيه .

ومن ثم أصبحت اللذة الجنسية مجرد وسيلة ركبتها الفطرة فيها ليتم الإلتقاء بينهما وبالتالى فإن تخصيص امرأة لرجل بالزواج هو الوضع الصحيح حتى لا يصبح الهوى الشخصى هو الحكم فى بقاء الارتباط بين الذكر

والأنثى . إنما الحكم هو الواجب فى رعاية النسل الضعيف الذى يجىء ثمرة للالتقاء بينهما . وهكذا نجد الإسلام اهتم غاية الاهتمام بالحفاظ على هذه العلاقة بين الرجل والمرأة وكفلها بسياج منيع وجعلها مكفولة بحدود وشرائع لا يحق لمسلم يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يقترب منها فضلًا عن تخطيها .

قال تعالى : ﴿**تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**﴾ [البقرة : ١٨٧] .

قال ﷺ : « **إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه** » وقال : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** » .

« **لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم** » .

« **ما شاع الربا والزنا فى قرية إلا أحلت بنفسها غضب الله** » .

« **إن الله عز وجل يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه** » .

« **إن الله ضرب مثلًا صراطاً مستقيماً ، على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو فوقه : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم** » والأبواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوق واعظ ربه عز وجل .

أما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل قيد : دينى أو أخلاقى أو اجتماعى فهذا معناه انطلاق السعار الجنسى المحموم بلا حاجز ولا كابح فلا يقر معه قلب ولا يسكن معه عصب ولا يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة .. وهو يمثل مشقة وجهد

وقلق فى حياة المجتمعات ومعناه تحطيم قواعد المجتمع الإنسانى كله وإشاعة القلق والاضطراب بحرمان الأطفال من جو الأسرة الهادىء المطمئن الآمن من عواصف الشهوات الجامحة والنزوات المتقلبة والهوى الذاهب مع الريح وهذا الهدوء ضرورى جداً للنهوض بأمانة الجنس البشرى كله وهو شيء آخر غير مجرد التناسل الحيوانى وغير مجرد الالتقاء الشهوانى على أساس العواطف وحدها . إنه العلاقة المقدسة القائمة على الواجب الإيمانى الذى يحقق الأمن والطمأنينة .

إن حماية الإسلام للعرض هو حماية لعرض كل المؤمنين من العدوان عليه : قال جل شأنه محذراً من هذا الانتهاك : ﴿ **وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون** ﴾ [الشعراء : ٦٦] . ولتعرف عظمة الوصف الإلهى بأن ترك ما أحل من الأزواج إلى غير ما أحل بأنه عدوان يشمل المجتمع بأسره يمكن النظر إلى حياة المجتمعات التى تحررت من قيود الدين والأخلاق والحياء فى هذه العلاقة .

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هى المعول الأول الذى حطم الحضارات القديمة : حطم الحضارة الإغريقية وحطم الحضارة الرومانية وحطم الحضارة الفارسية وهذه الفوضى ذاتها هى التى أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة فيما يلى :

ــ فى الأدب الفاحش الخليع الذى يدعو إلى انهيار المثل والمبادىء .

ــ فى الأفلام السينمائية التى تزكى فى الناس عواطف الحب الشهوانى المدمرة.

ــ فى انحطاط المستوى الخلقى فى عامة النساء الذى يظهر فى عريهن وفى اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام .

ـــ انتشار موجة الإجرام بين المراهقين والمراهقات والادمان على المخدرات وجرائم الإعتداء على النساء والفتيات الصغيرات وانتشار الأمراض السرية الفتاكة .

ـــ انتشار الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية وهو من أكثر العناصر فى جلب التعاسة للأفراد وتحطيم الأسر وهو أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التى قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن .

ـــ وجد أن الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم لا لأنهم فى حاجة إلى المال ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً ناشئاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة فى المجتمع .

ـــ هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين وذلك فى مجتمع لا يدرى فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته فى الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق ولا تدرى الزوجة إن كان زوجها الذى خرج فى الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها وأشد جاذبية !!

مجتمع تعيش فيه البيوت فى مثل هذا القلق كفيل بأن يحطم كل سعادة مادية يحصل عليها المرء .

ـــ هناك انخفاض مستمر فى نسبة المتزوجين وارتفاع مستمر فى نسبة عدد المواليد غير الشرعيين وهكذا تزيد نسبة الحياة القلقة الشريدة التى يعيشها هؤلاء الأطفال مما ينعكس على المجتمع بأسره .

ـــ إن سهولة تلبية الميل الجنسى وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد لا تدع مجالًا لتكوين الأسرة ولا لاستقرارها مما يؤدى إلى الاتجاه نحو انقراض النسل .

هذا مآله زوال الحضارة والاجتماع والفناء آخر الأمر .

صدقت يارب العزة يا من قلت وقولك الحق :

﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام: ١٥١].

ثم خصصت الزنى بمزيد من التخصيص ومزيد من النهى فقلت :

﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال رسولك الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

ـ ﴿لا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى وهو مؤمن . الإيمان أكرم على الله من ذلك﴾ .

ـ ﴿لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة﴾ .

ـ ﴿إن الزناة تشتعل وجوههم ناراً﴾ .

ـ ﴿الزنا يورث الفقر﴾ .

ـ ﴿تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا .

ـ وعن عبدالله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى برجل قد شرب فقال : يا أيها النالس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله . فمن أصاب من هذه القاذورة شيئاً فليستتر بستر الله فإن من يُبْدِلنا صفحته نقم عليه كتاب الله وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ . وقال : قرن الزنا مع الشرك . وقال : ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن .

وهكذا فإن الذين يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة فى علاقات الجنسين أمر شاق ومجهد يعيشون فى وهم كبير فاطلاق الشهوات من كل قيد وتحرى اللذة فى كل تصرف والتجرد فى علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقى ومن كل التزام اجتماعى . هذا كله يبدو يسرا وراحة وانطلاقاً ولكنه فى حقيقته مشقة وجهد . ونتائجها فى حياة المجتمع بل فى حياة كل فرد هو القلق وفقدان الأمن والانهيار فى النهاية .

وإنه لمفخرة للإسلام ذلك المنهج الذى وضعه الحكيم الخبير فى المحافظة على العرض وتحقيق كل دواعى الأمان له لأنه علامة مضيئة وحجر راسخ فى حياة المجتمعات الإسلامية يجعلها تعيش آمنة مطمئنة فى كنف الإسلام الذى جاء من رب رحيم على يد رسول الرحمة الذى أعلنها بكل يقين الإيمان وبكل نقاء الرسالة وصفائها وأمنها كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

خامساً ــ تحقيق الأمن للمال :

إن المال هو عصب الحياة وقوام حياتها وعليه يتوقف تقدم المجتمعات ونهضتها ورخائها وعليه أيضاً يتوقف أمن تلك المجتمعات وطمأنينتها إذا آمنت بالطريقة المثلى لتداول المال بين الأفراد .

ولأهمية المال القصوى فى ادارة عجلة الحياة فإن المنهج الإسلامى اهتم اهتماماً بالغاً بكل منفذ وبكل طريقة يتم بها تداول المال سواء فى الاستهلاك أو الإدخار أو الاستثمار أو كيفية توزيع الدخول . ليس هذا فقط بل أنه اهتم بالمال بعد وفاة المسلم عن طريق قوانين الميراث واهتم بالمحرومين من المال ففرض لهم الزكاة كركن أساسى من أركان الإسلام الخمسة وأضاف لهم الصدقات فى حدود الثلث مما أفاض الله به على خلقه ووسع عليهم فى رزقهم .

هناك قاعدة أساسية فى التشريع الإسلامى يتفرع عنها مواد فرعية كثيرة كلها تهدف إلى تحقيق الأمن للمال . هذه القاعدة مكتوب على بابها : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾** [النساء : ٢٩] .

إنه نهى عام عن كل طريقة يتم بها تداول الأموال لم يأذن بها الله أو نهى عنها ومنها السرقة والغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات لاغلائها وجميع أنواع البيوع المحرمة والربا فى مقدمتها . وعقب ذلك النهى بما يوحى بالآثار المدمرة التى ينشئها أكل الأموال بالباطل فى حياة الجماعة إنها عملية قتل للمجتمعات حيث يباع فيها ما ليس يباع كالعرض والذمة والضمير والخلق والدين . فما هى الخطوات التفصيلية التى انتهجها الإسلام لتحقيق الأمن للمال ؟

١ ـ تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتداء على أمن الجماعة :

إن المجتمع المسلم يوفر للناس على اختلاف عقائدهم ما يدفع خطر السَّرقة عن كل نفس سوية . إنه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية وضمانات التربية والتقويم وضمانات للعدالة فى التوزيع . وفى الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنبت من حلال ويجعل الملكية الفردية وظيفة اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذيه . ومن أجل هذا كله فمن حقه إذن أن يشدد فى عقوبة السرقة قال تعالى : وهو أحكم الحاكمين : **﴿ والسارق والسارقة فاقطعو أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾** [المائدة : ٣٨ ـــ ٣٩] .

إن قطع اليد تنكيل من الله رادع لكل من تحدثه نفسه بالسرقة وهو رحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة والأمن .

٢ ــ تحريم الاكتناز :

إن اكتناز الأموال وحبسها عن التداول هو تعطيل لوظائفها الأساسية وحرمان المجتمع المسلم من الخير الذى سيعود عليه باستثمار تلك الأموال ومواجهة مطالبه واحتياجاته الأساسية وتحقيق الأمن لحياة الفقراء بعيداً عن شظف العيش . قال تعالى فى كتابه الكريم محذراً أشد التحذير لكل من تسول له نفسه اكتناز النقود وحبسها عن الاستثمار فى الأغراض التى حددها الله لنا لتحقيق الرفهاية والتقدم للمجتمع المسلم : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ [التوبة : ٣٤ــ٣٥] .

ويضرب لنا الله فى القرآن الكريم أمثلة لقوم كنزوا المال فعوقبوا بالدمار فهاهو ذا قارون يؤتى من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ويأمره قومه بالإحسان كما أحسن إليه فيقول : ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ [القصص : ٧٨] .

فيكون المآل ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ [القصص : ٨١] .

وها هو ذا ثعلبة يعاهد الله إن أتاه مالًا ليصدقن وليكونن من الصالحين فيؤتى المال ويبخل به ويكنزه فتكون العاقبة : ﴿ **فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه** ﴾ [التوبة : ٧٧] .

٣ ـــ تحريم الربا :

إن تحريم الربا من أعظم الإجراءات فى المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن للمال . فالربا هو توجيه المال أى وجهة الهدف منها زيادة الربح بصرف النظر عن نوعية الاستثمار الموجه إليه هذا المال حتى ولو كان فى أحد المشروعات المثيرة للغرائز والمحطمة للكيان الإنسانى . إن هذا الاستثمار وإن كان فى ظاهره يحقق عائداً مجزياً إلا أنه فى باطنه يحقق عائداً سلبياً ليس على المجتمع ككل فقط وإنما على المستثمر نفسه . لأن الربا يثقل الصناعة بالفوائد الربوية التى تضاف إلى أصل التكاليف ويثقل التجارة والمستهلك بأداء هذه الفوائد التى يفرضها على الصناعة وهذا يؤدى إلى ارتفاع الأسعار مما يؤدى إلى ارتفاع تكلفة عوامل الإنتاج على المدى الطويل مما يسبب خسارة المستثمر أو انخفاض نسبة ربحه فإذا أراد ارتفاع تلك النسبة فإنه سيضطر إلى رفع سلعته وهكذا يدخل المجتمع فيما يسمى بالتضخم الحلزونى وهو ما يجر أوخم العواقب التى يعرفها الاقتصاديون جيداً ويلمسها رجل الشارع فى ذلك الارتفاع الرهيب فى الأسعار وعدم مقدرته على الوفاء باحتياجاته الأساسية بنفس الدخل الذى كان يحصل عليه فيما مضى . وهذا يؤدى إلى انتشار الفقر وزيادة وطأة أعباء الحياة على الناس وهو ما يرفضه الإسلام أساساً لأنه دين العزة والقوة والرخاء . قال تعالى فى محكم كتابه الكريم لينهى الناس عن التعامل بالربا لأثاره الضارة على تداول الأموال :

﴿وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ [الروم : ٣٩] .

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ [البقرة : ٢٧٥ — ٢٧٦] .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة** ﴾ [آل عمران : ١٣٠] .

٤ — تحريم الإحتكار :

حرم الإسلام تحريماً قاطعاً تخزين كميات كبيرة من الناتج تؤدى إلى نقص المعروض منه فى السوق أو اختفائه فلا يجد المسلم حاجته الضرورية إلا بأسعار مرتفعة وهذا يشكل عناءاً كبيراً على ذوى الدخول المحدودة ويتنافى أساساً مع العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى الذى بنى عليها الإسلام دعائمه .

إن الاحتكار معناه تحكم القلة فى الأغلبية .. معناه قلق الناس وخوفهم الدائم من ارتفاع الأسعار بحيث لا يقدرون على مواصلة مسيرتهم فى الحياة . معناه استغلال حاجة المسلمين لتحقيق أرباح طائلة وهو ما يرفضه الإسلام مضموناً ومعنى ونهجاً فى الحياة لمن رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً .

قال تعالى فى بيانه عقوبة المحتكر الذى يسبب بتصرفه هذا تضخماً اقتصادياً يجر الويلات على المجتمع بأسره ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم** ﴾[المائدة : ٣٣] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه تأكيداً لذلك المنهج الربانى :

« **من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة** » .

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » .
« من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد بريء من الله وبريء الله منه » .
« بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح » .

فأى أمن يشعر به الإنسان على ماله واحتياجاته وهو يعيش فى مجتمع تظلله تلك القوانين السامية حيث ترتقى بالبشرية إلى قمم سامقة ؟

٥ ــ الإهتمام بتوثيق الدين :

لما كان الإسلام دين الحياة فهو يراعى تلك الضرورة التى تلجأ الناس إلى الدين فنظمها أروع تنظيم بالمحافظة على حق الدائن والمدين حماية لحقوق كل منهما فى تبادل الأموال . فجعل آية الدين أطول آية فى القرآن الكريم وأمر فيها بكتابته كما أباح الرهن لتوثيق الدين . قال تعالى فى دستوره الحكيم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل . واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

أى من وأى روعة أعظم من ذلك التنظيم البديع للدين ؟ فلا هضم للحقوق ولا ضياع للأموال بل إحكام وأمان، من لدن حكيم خبير .

٦ـ الحفاظ على مال الضعيف :

إن تداول المال فى المجتمع يستلزم خبرة ودراية عظيمتين وكنز المال ممنوع فى الإسلام إذن ما هو الحل بالنسبة لمن عنده مال ولكنه ضعيف عن استثمار هذا المال مثل اليتيم والسفيه . هنا يتدخل الشرع ليحكم حكمه العادل :

ـ بالنسبة لليتيم فعلى ولى أمره أن يستثمر ماله بالحكمة بما يعود على اليتيم بالنفع وليحذر من تسول له نفسه بأن يستحل شيئاً من هذه الأموال . قال تعالى :

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً ﴾ [النساء : ١٠] .

ـ حتى إذا بلغ اليتيم رشده وأصبح قادراً على استثمار أمواله بنفسه وجدها قد نمت وربت مع الزمن فيستطيع ولى الأمر حينئذ أن يطمئن باله ويرتاح من المهمة التى كلفه الله بها وألقاها على عاتقه فقام بها خير قيام عملا بقول الله عز وجل : **﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً ﴾** [النساء : ٢] .

﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبدارا أن يكبروا ومن كان غنياً

فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ﴾ [النساء: ٦] .

ـــ بالنسبة للسفيه فليس من الحكمة ترك المال بين يديه يبعثره كيفما يتراءى له خياله المريض مما ينعكس آثاره السيئة على المجتمع الإسلامى ككل ولذا كان حكم الله سبحانه جل شأنه بأن يكون هناك من يتولى أمر السفيه ويحرص على ماله لأن المال قوام الحياة وله الدور الإيجابى فى إدارة عجلتها قال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفاً** ﴾ [النساء: ٥] .

٧ ـــ تحريم الغش والرشوة :

إن الغش والرشوة وسيلتان للحصول على حقوق بدون وجه حق وهما وبال على المجتمع عندما يصاب بداء التراخى وحب الكسب السريع . إنهما يؤديان إلى أسوأ تداول للمال يعود بأوخم العواقب على الاقتصاد القومى كله . ولهذا كان هناك من القوانين الإلهية ما يردع تلك الأمراض الفتاكة التى يمكن أن تصيب النفوس البشرية وتحرم المال من أمن التداول فيما خلق الله له .

قال تعالى فى كتابه الكريم بشأن تحريم الرشوة : ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

وقال ﷺ :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ « لعن الله الرشوة والرائش والمرتشى » .

أما بشأن الغش الذى يؤدى إلى الحصول على أموال بطرق غير مشروعة فإنه بخس لحقوق الناس وفساد فى الأرض ما بعده فساد له عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف لأنه سمع قول الحق تبارك وتعالى ولم يستجب له : ﴿ **يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين** ﴾ [هود : ٨٥] .

ولأنه خرج من تبعية أمة محمد الرسول الأمين الذى قال صلوات ربى وسلامه عليه « **من غش أمتى فليس منى** » .

إن ما عرضناه من مقتطفات عن كيفية تحقيق المنهج الإسلامى الأمن للمال يعتبر قطرة من محيط لأن ذلك المنهج عظيم كل العظمة عميق كل العمق فأنى لقلم أن يوفى ذلك المنهج حقه ويكفينا أن نردد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ **ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [لقمان:٢٧] .

نعمة الأمن :

ما أجمل نعمة الأمن النابع من الإيمان . قال الخليل ابراهيم لقومه كما ورد فى القرآن الكريم : ﴿ **وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً * فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ .

وإذا سئلت عن الإسلام فقل إنه الأمان الشامل فى العرض والمال والنفس والعقل وما أصدق قول الله جل شأنه فى حديثه القدسى : ﴿ **يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . لا بقليل تقنع ولا من كثير**

تشبع إذا كنت معاف فى بدنك آمناً فى سربك عندك قوت يومك فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها ﴾ .

لقد ضمن الإسلام الأمن للإنسان أيا كان موقعه :

آمنه على عقيدته :

﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ .

﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ .

آمنه على نفسه :

﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ .

« **الآدمى بنيان الرب ملعون من هدمه** » . كما قال الرسول صلوات ربى وسلامه عليه وقال أيضاً ﷺ : « **من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله** » .

آمنه على عقله :

فحرم من الأشربة ما يودى بهذا العقل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾ . ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ وما أجل قوله تعالى : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ .

روت أم سلمة رضى الله عنها قال : نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر . والمفتر هنا كل ما يضعف الصحة . فالقاعدة الأساسية فى الإسلام « **لا ضرر ولا ضرار** » .

آمنه على عرضه :

﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ .. ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ .

قال رسول الله ﷺ : « **قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة** » .

آمنه على مال :

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالًا من الله والله عزيز حكيم﴾ .. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ .

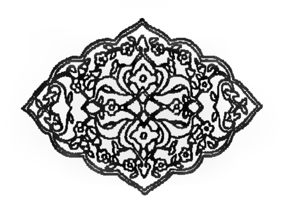
قال ﷺ : « **لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه** » . وقال أيضاً : « **ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام** » .. « **نعم المال الصالح للعبد الصالح** » .

والقول الفصل ما جاء فى قوله تعالى : **﴿ولا تعتدوا إنه لا يحب المعتدين﴾** وقوله جل شأنه : **﴿فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾** والاعتداء هو تجاوز الحد الذى بينه الله عز وجل فى قوله : **﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾** .

وسواء كان الإعتداء على النفس أو على العقل أو على العرض أو على المال

أو على العقيدة بالإكراه : ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً** ﴾ فإن لله تعالى واجبات يجب على المسلم أن يقف عندها موقف العناية والصيانة والرعاية . فقد فرض تعالى فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها .

وهنا يشعر المسلم بالأمن والأمان والطمأنينة ويحلق فى السموات العلى بعقيدة المؤمن الواثق بربه الرحمن الرحيم والمتبع لهدى رسوله المبعوث رحمة للعالمين وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ .



المبحث الثانى

الإنسان بين النفس والمال

الغنى فى القناعة :

صدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ .

عندما نطالع آيات الله ونصافح كلماته فى كتابه ونتعبد بتلاوته نطالع دروساً ونفوساً . نعم : ما أجمل القرآن إذا عرض الدروس على النفوس واستخلص العواقب واستنتج العبر إنه الكلام الوحيد الذى نلتمس فيه الحكمة البالغة والعبرة النافذة التى لا نجد لها تفسيرا أعظم من كلام رسول الله ﷺ فاستمع إليه وهو يقول فى هذا المجال : « **ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس** » وأمامنا فى هذا المجال ستة مواقف فى القرآن الكريم نتبين منها عبرة الحياة ونستخلص فيها نتائج الدنيا إذا اخترقت مجال اليدين إلى مجال القلب وتربعت فيه . هنا تكون الهاوية وما أدراك ما هى نار حامية .

الدرس الأول

ما ذكره القرآن الكريم عن هذا الحبر الكبير الذى عرف فى بنى إسرائيل بعلمه الغزير والذى قضى أيامه ولياليه بجوار كليم الله موسى حتى جاء اليوم الذى أرسله فيه نبى الله موسى مبعوثاً ليبلغ أمر الله إلى أهل مدين وذهب إليهم بقلب نقى ووعظهم واستمعوا له بآذانهم ولسان قلوبهم يقول : سمعنا وعصينا بدلا من أن يقولوا سمعنا وأطعنا وواصل الحبر مواعظه وإرشاداته وواصلوا هم خداعه وإغراءه بالمادة وعرض زينة الحياة الدنيا عليه حتى سألوه يوماً : كم يعطيك موسى لقاء ما تبذل من جهد فى تبليغ هذه الرسالة قال لهم : إنما أقصد الأجر من الله قالوا : فإن أموالنا كثيرة ولن نبخل بها عليك فى سبيل ألا نسمع منك شيئاً حتى لا تفسد علينا بيعنا وشراءنا وفكر العالم كثيراً وتردى فى صراع عنيف حتى وصل مجال انعدام الوزن عندما سأل نفسه : موسى أم المال !! الله أم الشيطان !! الدنيا أم الآخرة ؟ وأصبح فى الأرض حيران استهوته الشياطين فهوى بعد أن اتبع الهوى ، تمرغ فى طين الأرض بعدما تربع على قبة الفلك إن هذا العالم هو بلعام بن باعورا . عالم بنى إسرائيل الذى قص الله علينا قصته فى سورة الأعراف حيث قال الله لرسوله ﷺ : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ .

فتأمل معى ما احتوى عليه هذا المشهد القرآنى من أسرار وعجائب إنه نبأ ولا يستعمل القرآن لفظ النبأ إلا إذا كان المقام خطيرا والخبر العظيم جليلا فما بالك برجل أتاه الله آياته وآيات الله يكفيها شرفا أنها نسبت إلى الله وأضيفت إليه ، تذهب النفس كل مذهب فى تفسيرها وتفصيلها وبيانها فقد اشتملت على الحكم الإلهية والمواعظ والارشادات والتوجيهات الربانية فماذا حدث هل تركها ؟ هل ابتعد عنها ؟ كلا لو كان الأمر كذلك لجاز أن يعود إليها بعد زمان طال أو قصر لكن القرآن أعطى معنى يدل على أن العود بالنسبة إليه محال قال تعالى : ﴿ **فانسلخ منها** ﴾ فما معنى الإنسلاخ . ؟ إن السلخ فى الأصل كشط الجلد عن اللحم وهو يعطينا أنه لا عودة ، فكما أن عودة الجلد إلى اللحم بعد سلخه أمر محال كذلك عودة هذا الذى أظلم قلبه بحب الدنيا ، عودته إلى آيات الله أمر محال ، لقد كانت الآيات بالنسبة إليه وقاية وعناية له من غضب الله كما أن الجلد وقاية وعناية باللحم فلما انسلخ من الآيات أصبح عرضة لغضب الله .

لقد كانت الآيات تزينه وتجمله فلما إنسلخ منها أصبح مشوهاً دميم المنظر قميئاً فماذا كانت النهاية ؟ كانت النهاية ﴿ **فكان من الغاوين** ﴾ .

لماذا لم يكن من المغريين إنما كان من الغاوين لأنه أصبح أستاذاً فى الغواية دليل ذلك قوله تعالى ﴿ **فاتبعه الشيطان** ﴾ ولم يقل فتبع الشيطان أى أنه أصبح بعد الضلال والإنسلاخ من الآيات متبوعا فصار الشيطان له تابعاً .

وهذا يذكرنا بقول أحد الحكماء :

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى ... بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ثم ماذا ؟ قال الله تعالى : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ فمشيئة الله لا يعجزها شيء لكن الله لا يجبر أحداً على فعل شيء .

قال تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فماذا حدث من (بلعام) .

قال تعالى : ﴿ ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ وما أمر ما بعد لكن إخلاد إلى الأرض واتباع للهوى إنما عبر القرآن بلفظ أخلد لأنه يعطينا معنيين : الميل والاطمئنان إلى ما مال إليه فهو عندما أخلد إلى الأرض مال إليها مطمئناً بها وبدلًا من أن يقول القرآن أخلد إلى الدنيا قال : أخلد إلى الأرض وهذا هو قدر الدنيا وقدر من مال إليها هو فى الهاوية وفى الحضيض فما الدنيا إلا أرض تدمر من مال إليها مطمئنا بها قلبه إذا حلت أوحلت وإذا كست أوكست وإذا جلت أوجلت وإذا أينعت نعت وكم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات .

نعم إنه اتبع هواه وما الهوى إلا نوازع النفس إلى مسالك الشر وما أجمل هذا التحذير من الله عندما يقول : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ .

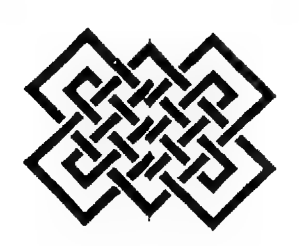
وما قاله أحد الحكماء جدير بالتأمل : من عرف الهوى فقد هوى وما قاله آخر « نون الهوان من الهوى محذوفة فإذا هويت فقد لقيت هوانا » .

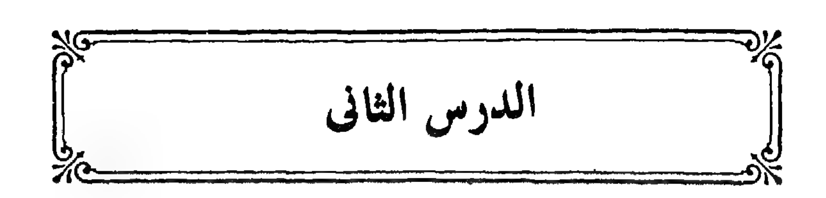
ما شأن هؤلاء وما صفاتهم وما حالهم الذين أخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم ما حالهم فى الدنيا ؟ إنهم فى تعب دائم وعذاب نفس مستمر قال تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ إنه تشبيه لحالهم بالكلب فى أخس حالاته لا فى أمانته وحراسته إنما فى تعبه

وشقائه فهو دائما يلهث أى يخرج لسانه ويتنفس بصعوبة فى كل حالاته سواء زجرته وقسوت عليه أم أرحته وعطفت عليه كذلك هؤلاء الذين اتبعوا الهوى وأخلدوا إلى الأرض إذا لم تعطهم الدنيا طلبوها وخطبوا ودها وإذا أعطتهم طلبوا المزيد منها ولو كان لأحدهم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوفه إلا التراب .

وهذا مثل ضربه الله لكل من كذب بآيات الله وأخلد إلى الأرض واتبع هواه وأمرنا الله أن نقصه على الناس ليتفكروا ويتذكروا ويعملوا ثم يعقب الله بعد ذلك قائلًا : ﴿ **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ .

أى أن حال هؤلاء القوم بئس الحال ومثلهم بئس المثل وما ظلمهم الله لأن الله بين وأرشد فكان منه الإيجاد والإمداد والارشاد ولكنهم قابلوا ذلك كله بالجحود والإنكار والعتود والنفور ﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد** ﴾ .





الدرس الثانى

ومن دروس القرآن الكريم مع النفوس الشاردة يحدثنا الكتاب العزيز عن شخصية أخرى أخلد صاحبها إلى الأرض واتبع هواه بعدما اقتحمت الدنيا قلبه فأظلم وأدلهم ومال وانتكس وفى أوحال الحياة ارتكس إنه « ثعلبة بن حاطب » الذى قال الله فيه وأمثاله **﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله . بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه . بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾** .

يقول العلامة ابن كثير :

يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفى بما قاله ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن فى قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عياذا بالله من ذلك وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصرى أن سبب نزول هذه الآية الكريمة فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى وقد ورد فيه حديث رواه جرير ههنا وابن أبى حاتم من حديث « معان ابن رفاعة عن على بن يزيد عن أبى عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية عن أبى أمامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى أنه قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يرزقنى مالاً

قال : فقال رسول الله ﷺ : « **ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه** » قال ثم قال : مرة أخرى فقال : « **أما ترضى أن تكون مثل نبى الله** » ؟ فو الذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالًا لأعطين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله ﷺ : « **اللهم ارزق ثعلبة مالًا** » قال : فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله ﷺ : « **ما فعل ثعلبة** » ؟ فقالوا يارسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال : « **ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة** » وأنزل الله جل ثناؤه ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ ونزلت فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة من المسلمين رجلًا من جهينة ورجلًا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما : مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال : ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدرى ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك فقال : بلى خذوها فإن نفسى بذلك طيبة وإنما هى له . فأخذاها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أريانى كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيا فانطلقا حتى أتيا النبى ﷺ فلما رآهما قال « **ياويح ثعلبة** » قبل أن يكلمهما

ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فأنزل الله عز وجل ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ــ الآيات**﴾ قال وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له رسول الله هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله أن يقبل

صدقته رجع إلى منزله فَقُبِض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف فقال له قد علمت منزلتى من رسول الله ﷺ وموضعى من الأنصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأبى أن يقبلها فَقُبِض أبو بكر ولم يقبلها فلما ولى عمر رضى الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟ فَقُبِض ولم يقبلها فلما ولى عثمان رضى الله عنه أتاه فقال اقبل صدقتى فقال : لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك . فلم يقبلها منه فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان ، قوله تعالى : ﴿**بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾ .
أعقبهم النفاق فى قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان** » .

قوله تعالى : ﴿**ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب**﴾ يخبر تعالى أنه يعلم السر وأخفى وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها فإن الله أعلم بهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب أى يعلم كل غيب وشهادة وكل سر ونجوى ويعلم ما ظهر وما بطن .

الدرس الثالث

من هذه الدروس مع النفوس التى جرفها المال فانحرفت ما جاء فى سورة الكهف قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخيل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا . وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا ﴾ .

يقول العلامة ابن كثير :

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء

والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم فضرب لهم مثلًا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أى بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة فى جنباتهما وفى خلالهما الزروع وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل فى غاية الجودة ولهذا قال : ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ أى أخرجت ثمرها ﴿ **ولم تظلم منه شيئا** ﴾ أى ولم تنقص منه شيئا ﴿ **وفجرنا خلالهما نهرا** ﴾ أى والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ قيل المراد به المال روى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أى صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أى يجادله ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس ﴿ **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** ﴾ أى أكثر خدما وحشما وولدا . قال قتادة تلك والله أبنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ أى بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿ **قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا** ﴾ .

وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة فى جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تغنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال : ﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ أى كائنة ﴿ **ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا** ﴾ أى ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربى ولولا كرامتى عليه ما أعطانى هذا كما قالت الآية الأخرى ﴿ **ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى : وقال** : ﴿ **أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالًا وولدا** ﴾ أى فى الدار الآخرة تألى على الله عز وجل وكان سبب نزولها فى

العاصى ابن وائل . يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ﴿ **أكفرت بالذى خلقك من تراب** ﴾ الآية . وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذى خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى : ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم** ﴾ الآية . أى كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوماً ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شىء من المخلوقات لأنه بمثابته معلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شىء ولهذا قال المؤمن : ﴿ **لكنا هو الله ربى** ﴾ أى لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿ **ولا أشرك بربى أحدا** ﴾ أى بل هو الله المعبود وحده

لا شريك له ثم قال ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا** ﴾ هذا تحضيض وحث على ذلك أى هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شىء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ﴿ **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة ولقد روى فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول : ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت ﴾ وكان يتأول هذه الآية ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾** . » .

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال لى رسول الله ﷺ : « **يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟** » قال : قلت فداك أبى وأمىٰ قال : « **أن تقول لا قوة إلا بالله** » قال أبو بلخ وأحسب أنه قال : فإن الله يقول ﴿ **أسلم عبدى واستسلم** ﴾ : قال فقلت لعمرو قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأبى هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها فى سورة الكهف ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ وقوله : ﴿ **فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك** ﴾ أى فى الدار الآخرة ﴿ **ويرسل عليها** ﴾ أى على جنتك فى الدنيا التى ظننت إنها لا تبيد ولا تفنى ﴿ **حسباناً من السماء** ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهرى أى عذاباً من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال ﴿ **فتصبح صعيدا زلقا** ﴾ أى بلقعا ترابا أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجرز الذى لا ينبت شيئاً وقوله ﴿ **أو يصبح ماؤها غورا** ﴾ أى غائراً فى الأرض وهو ضد النابع الذى يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ أى جار وسائح وقال ههنا ﴿ **أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا** ﴾ والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه يقول تعالى : ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ بأمواله أو بثماره على القول الآخر والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التى اغتر بها وألهته عن الله عز وجل : ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها** ﴾ وقال قتادة يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التى أذهبها عليها ويقول : ﴿ **يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فئة** ﴾ أى عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿ **ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا . هنالك الولاية لله الحق** ﴾ اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على

قوله : ﴿ **وما كان منتصراً هنالك** ﴾ أى فى ذلك الموطن الذى حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدىء بقوله : ﴿ **الولاية لله الحق** ﴾ ومنهم من يقف على : ﴿ **وما كان منتصرا** ﴾ ويبتدىء بقوله : ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ ثم اختلفوا فى قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله أى هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب كقوله : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين** ﴾ وكقوله إخباراً عن فرعون ﴿ **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . ألآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ ومنهم من كسر الواو من الولاية أى هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن . وكان يوما على الكافرين عسيرا** ﴾ .

ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله : ﴿ **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق** ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ **هو خير ثواباً** ﴾ أى جزاءاً ﴿ **وخير عقباً** ﴾ أى الأعمال التى تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير .

وهكذا يضع القرآن الحقائق واضحة صريحة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ويستنتج من هذه الحقائق نتيجة تسطع بضوئها على كل القلوب فيقول سبحان معقباً على هذه القصة ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدراً** ﴾ .

فكم ساوت الدنيا عند الله ؟ والله ما ساوت جناح بعوضة ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء .

الدرس الرابع

من دروس المال والنفوس يتمثل أمامنا فى صورة رجل طغى وبغى عندما كثر ماله فماذا فعل وكيف كانت عاقبته ؟ إليك ما قاله القرآن الكريم :

﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب

المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا

يعملون . إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين . وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

قال المفسرون قال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **إن قارون كان من قوم موسى** ﴾ قال كان ابن عمه وهكذا قال أكثر أهل العلم ولكنه نافق السامرى وكان بنوا إسرائيل يلقبونه قبل نفاقه بالمنور لحسن صورته وسلوكه وقوله تعالى : ﴿ **فبغى عليهم** ﴾ وذلك عندما تمكن النفاق من قلبه بغى وظلم وحاف وجار . ونسى الله كما نسى قومه وهنا فتحت الدنيا عليه واخطر بلاء يصاب به ابن آدم ان يبتلى بتسليط الدنيا عليه . ياابن آدم إن لم ترض بما قسمت لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالى .

قال تعالى : ﴿ **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة** ﴾ .

قال المفسرون المقصود من الكنوز هنا : الأموال وفى هذا التعبير كناية من كنايات القرآن البديعة إذ كانت مفاتيح الكنوز لا يقوى على حملها الجماعات من الرجال الأقوياء الأشداء وقد ذكر أن هذه المفاتيح كان كل مفتاح منها لا يزيد على الأصبع ومن هنا بدأ القوم الصالحون يوجهون إليه خمس نصائح اشفاقاً عليه وخوفاً من أن يموت من الأشقياء الذين لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وجاءت النصائح على الترتيب التالى :

١ ـــ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .
٢ ـــ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .
٣ ـــ ولا تنس نصيبك من الدنيا .
٤ ـــ وأحسن كما أحسن الله إليك .
٥ ـــ ولا تبغ الفساد فى الأرض .

ثم عقبوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ .

والفرح المنهى عنه كما قال مجاهد : الأشر والبطر أى الذى يدعو صاحبه إلى الوقوع فيما يغضب الله وينسيه ذكره وشكره ويدخل فيه الاختيال والفخر قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ وقد كان سلمان الفارس رضى الله عنه يقول : عجبت لثلاثة وبكيت لثلاثة :

عجبت لغافل وليس بمغفول عنه وعجبت لمؤمل فى الدنيا والموت يطلبه وعجبت لضاحك ملء فيه لا يدرى آلله راض عنه أم ساخط عليه . وبكيت لفراق الأحبة محمد وصحبه وبكيت لهول المطلع عند سكرات الموت وبكيت للوقوف بين يدى الله لا أدرى أينطلق بى إلى الجنة أم إلى النار وقد جاء فى صحف موسى وقد كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب وعجبت لمن أيقن بالرزق ثم هو يتعب وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو يغفل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن قلبه إليها .

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ .

وجل جلال الله إذ يقول : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ .

وتبارك الله إذ قال : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا** ﴾ .

وتأتى النصيحة الثانية متمثلة فى قوله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة** ﴾ أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب فى الدنيا والآخرة .

وجاءت الوصية الثالثة قوله تعالى : ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ أى مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فآت كل ذى حق حقه .

وجاءت الوصية الرابعة ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك .

وجاءت الوصية الخامسة ﴿ **ولا تبغ الفساد فى الأرض** ﴾ أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض وتسىء إلى خلق الله ﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ .

وهذه الوصايا الخمس التى وجهت إلى قارون إنما هى وصايا عامة لإصلاح نفوس الأغنياء حتى لا تطغى عليهم الماديات الخطيرة التى إذا

تمكنت من القلوب أبعدتها عن ذكر الله ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون** ﴾ .

هذا فى الوقت الذى نجد النصائح تنص على إباحة الطيبات من الرزق ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾ وهنا ينادى القرآن الكريم على المؤمنين فى أسلوب فريد فى قوته وحيد فى جلاله ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ .

ويقف القرآن بالنفس البشرية موقف الانضباط العجيب فيخاطبهم قائلًا : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالًا طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** ﴾ .

ومن هنا فإن لله حدوداً فلا تعتدوها وفرائض فلا تضيعوها وحرمات فلا تنتهكوها وأوامر فلا تخالفوها ولقد سكت عن أشياء رحمة بنا من غير نسيان فلا تسألوا عنها ولقد كان للوصايا تعقيب عجيب فى القرآن الكريم ، عقبت الآية على الوصية الأولى قائلة ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ وعلى الوصايا الباقيات قائلة : ﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ فأهل البطر والفساد خرجوا من دائرة الحب الإلهى ومن فقد هذا الجانب فقد تبدد جمعه وتمزق شمله وأصبح كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب .

فماذا كان رد قارون على هذه النصائح ؟ لقد ثارت ثورته وجن جنونه وأخذته العزة بالإثم فنطق من منطق المال ومن منطلق الغنى المطغى . قال إنما أوتيته على علم عندى وهذه الكلمة (عندى) إحدى كلمات ثلاث أودت بأصحابها إلى قاع الهاوية وما أدراك ما هى نار حامية فإبليس قال : ﴿ **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ فكلمة (أنا) إحدى هذه الكلمات طردت إبليس من رحمة الله إلى يوم يبعثون وفرعون قال (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون) فجاءت كلمة (لى) على لسان فرعون مجىء الفخر والكبر فكان مصيره أن يقدم قومه يوم القيامة ﴿ **فأورَدهم النار وبئس الوِردوالمورود** ﴾ فاحذر ياأخى من هذه الألفاظ الثلاثة التى تجرى على لسانك مجرى الاختيال والفخر واعلم أنه من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله واسمع إلى ما قاله سيد ولد آدم : « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر** » .

ثم يبين الكبر فى كلمات موجزة وجيزة فيقول ﷺ : « **الكبر غمط الناس وبطر الحق** » .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الدراسات القرآنية الاستنباطية أن نذكر ما قاله نبى الله سليمان عندما وجد عرش بلقيس أمامه لم يقل أنا خير من يمش على الأرض ولم يقل : أليس لى ملك بلقيس ولم يقل إنما أوتيته على علم عندى . إنما تذكر عظمة الله وكبرياءه وجلاله فقال : ﴿ **هذا من فضل ربى ليبلونى ءَأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾ .

وأى علم يا قارون ينفع صاحبه إن كان خالياً من نعمة الله وتوفيقه ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ وكان من هدى الرسول ﷺ إذا أصبح أن يقول : « **اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك**

وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر وكان إذا أمسى يقول اللهم ما أمسى بى من نعمة ...» إلخ

إذا لم يكن عون من الله للغنى فأول ما يجنى عليه اجتهاده . الحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها . فماذا كان جواب الله على ما ادعاه قارون ؟ **﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾** .

وهذا أسلوب القرآن فى معاملة الطغاة الجبابرة فيا ابن آدم إذا غرتك قوتك فلما استحكمت فيك شهوتك وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوماً واحداً . من أنت يا من يناديك القبر كل يوم ويقول لك أنا بيت الدود أنا بيت التراب أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الغربة أنا بيت الضيق إلا من وسعنى الله عليه . من أنت حتى تتكبر على الله تعالى وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين هذا وذاك تحمل فى جوفك العذرة تنتنك عرقة وتؤذيك بقة وتقتلك شرقة .

يا مدعى الكبر إعجابا بصورته ... أنظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب ... غدا أقصر فإنك مأكول ومشروب

واستمع معى إلى هذه الدرر الغوالى التى يقدمها لنا سيد البشرية محمد ﷺ فيقول **«ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»** .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **«إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»** .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم** » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من يأخذ غنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن** » قلت : أنا يارسول الله فأخذ بيدى وعد خمساً وقال : « **إتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب** » .

[رواه الترمذى والإمام أحمد] .

عن مقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه** » .

عن عثمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء** » .

وعن عبيد الله بن محصن عن أبيه رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « **من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا** » [رواه الترمذى بسند حسن] .

صورة لأهل الدنيا الذين يقدسون أصحاب المال والجاه قال الله تعالى حكاية عن حال قارون وقومه : ﴿ **فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتو العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن قارون أنه خرج ذات يوم على قومه فى زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها وتمنوا أن لو كان لهم مثل الذى أعطى ﴿ **قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم** ﴾ أى ذو حظ وافر من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم ﴿ **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً** ﴾ أى جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين فى الدار الآخرة خير مما ترون . كما فى الحديث الصحيح يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرءوا إن شئتم ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ وقوله : ﴿ **ولا يلقاها إلا الصابرون** ﴾ .

قال السدى ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم قال جرير ولا يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعاً من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك وهكذا أهل الدنيا .

رأيت النـــــاس قد مالـــــوا ... إلى من عنـــــــــده مال

ومـــــن لا عنـــــده مال ... فعنـــه النـــــاس قد مالـــــوا

رأيت النـــــاس قد ذهبـــــوا ... إلى من عنـــــــــده ذهب

ومـــــن لا عنـــــده ذهب ... فعنـــه النـــــاس قد ذهبـــــوا

رأيت النـــــاس منـــــفضة ... إلى من عنـــــــــده فضة

ومـــــن لا عنـــــده فضة ... فعنـــه النـــــاس منـــــفضة

نهاية محتومة :

﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

لماذا ذكر تعالى اختيال قارون فى زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت فى الصحيح عند البخارى من حديث الزهرى عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال : « **بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة** » ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاصى حدثنا الأعمش عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة** » [تفرد به أحمد وإسناده حسن] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرنى محمد بن مسلم سمعت زياد النميرى يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين فاختال فيهما فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة** » .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر فى كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق قال : رأيت شاباً فى مسجد نجران فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله فقال : مالك تنظر إلىّ فقلت أعجب من

جمالك وكمالك فقال إن الله ليعجب منى . قال فمازال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته فى كمه وذهب به .

وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبى الله عليه السلام واختلف فى سببه فعن ابن عباس والسدى أن قارون أعطى امرأة بغيا مالًا على أن تبهت موسى بحضرة الملأ من بنى إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول ياموسى : إنك فعلت بى كذا وكذا فلما قالت ذلك فى الملأ لموسى عليه السلام أرعد من الغرق وأقبل عليها بعد ما صلى ركعتين ثم قال : أنشدك بالله الذى فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتنى بالذى حملك على ما قلت ؟ فقالت : أما إذا أنشدتنى فإن قارون أعطانى كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا استغفر الله وأتوب إليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجداً وسأل الله فى قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك .

وقيل إن قارون لما خرج على قومه فى زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة فمر فى محفلة ذلك على مجلس بنى الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه فدعاه موسى عليه السلام : وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا موسى أما لئن كنت فضلت علىّ بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لنخرجن فلتدعون على وأدعو عليك فخرج موسى وخرج قارون فى قومه فقال موسى عليه السلام تدعو أو أدعو أنا ؟ فقال بل أدعو أنا فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى : أدعو ؟ قال : نعم فقال موسى : اللهم مر الأرض أن تطيعنى اليوم فأوحى الله إليه أنى قد فعلت فقال موسى : ياأرض خذيهم

فأخذتهم إلى أقدامهم . ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم إلى مناكبهم ثم قال أقبلى بكنوزهم وأموالهم قال : فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بنى لاوى فاستوت بهم الأرض . وعن ابن عباس قال : خسف بهم إلى الأرض السابعة وقال قتادة ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾ أى ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو فى نفسه منتصراً لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره .

موقف عجيب

ماذا كان حال الذين تمنوا أن يكونوا مثل قارون قال تعالى : ﴿ **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾ .

وهكذا تلعب المظاهر الخلابة والماديات الجاذبة تلعب دورها بأهل الدنيا ولقد جاء ختام هذه القصة والتعقيب عليها داعياً إلى انتباه الأذهان انتباهاً يدعو إلى اليقظة . ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ .

يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا فى الأرض أى ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العُلوّ : التجبر وقال سعيد بن جبير العلو : البغى وقال سفيان النورى عن منصور عن مسلم البطين العلو فى الأرض : التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جريج : ﴿ **لا يريدون علواً فى الأرض** ﴾ تعظماً وتجبراً ﴿ **ولا فساداً** ﴾ عملًا بالمعاصى . وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبى عن أشعث السمان عن أبى سلام الأعرج عن على قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره فإن ذلك مذموم كما فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « **إنه أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد** » وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن رجلًا قال : يارسول الله إنى أحب أن يكون ردائى حسناً ونعلى حسنة أفمن الكبر ذلك ؟ فقال لا ﴿ **إن الله جميل يحب الجمال** ﴾ .

ومن عجيب ما يرى فى هذا المقام أن هذا التعقيب جاء بعد قصتين لطاغيتين من طواغيت البشر هما فرعون وقارون فقد تحدثت هذه السورة الكريمة عن جبروت فرعون بما تهتز له الجبال الشم الرواس الشامخات ولنذكر جانباً منها على سبيل العبرة والتبرك بتلاوة القرآن الكريم ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين .**

ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ .

طاغية السلطان

وينتقل بنا النظم الكريم ليبين لنا مدى طغيان السلطة على هذا الطاغية فيقول سبحانه : ﴿ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست ناراً لعلى أتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب . يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين . اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإيه إنهم كانوا قوماً فاسقين . قال رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءًا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون . فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى

إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون . وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ .

ومن عجيب ما يقصه علينا القرآن العظيم أن الله تعالى بين قصة الطاغيتين : طاغية السلطان وطاغوت المال . يتحدى الله البشرية جمعاء بآيتين من آياته . **﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ .**

﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ .

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ... وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندى ... سل الليل والأصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما ... وسل كل شىء تسمع الحمد ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا ... فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيا

سبحانك يا من لا تدركه الأبصار ولا تحويه الأقطار ولا يؤثر فيه الليل والنهار وهو الواحد القهار .

تعقيب :

ويعقب القرآن الكريم على هاتين القصتين بتعقيب مهيب رهيب ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾ وكلا الرجلين كان عاليا فى الأرض مفسدا فيها فالله يقول فى شأن فرعون : ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ وقال قوم قارون له ﴿ **ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ ثم تنطق العدالة الإلهية هذا المنطق المشرق المضيء ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذى عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ .

قال تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة** ﴾ (أى يوم القيامة) ﴿ **فله خير منها** ﴾ أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافاً كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذى عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ . وهذا مقام الفضل والعدل .

وتتمة للفائدة : فإننا نذكر الآيات الكريمة التى ختم الله بها هذه السورة المباركة . لقد توجه الخطاب الكريم بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين . ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله**

إله آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس . ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ أى افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ أى إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم** ﴾ وقال : ﴿ **وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ وقال السدى عن أبى صالح عن ابن عباس ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ يقول لرادك إلى الجنة ثم سائلك عن القرآن . قال السدى : وقال أبو سعيد مثلها ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ قال إلى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهرى وقال الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ إلى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما وفى بعضها لرادك إلى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحييك يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جبير وأبى قزعة وأبى مالك وأبى صالح وقال الحسن البصرى أى والله إن له لمعادا فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة .

وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخارى فى التفسير من صحيحه حدثنا محمد ابن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان الثورى عن عكرمة عن ابن عباس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ قال إلى مكة وهكذا رواه النسائى فى تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافى به وهكذا

رواه العرفى عن ابن عباس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ أى لرادك إلى مكة كما أخرجك منها وقال محمد ابن إسحاق عن مجاهد فى قوله : ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ إلى مولدك بمكة .

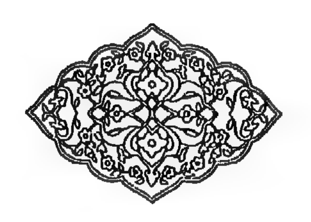
وقال ابن أبى حاتم وقد روى عن ابن عباس ويحيى بن الجزار وسعيد بن جبير وعطية والضحاك نحو ذلك . وحدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر قال : قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبى ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه : ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ إلى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضى أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً والله أعلم .

وقد روى ابن أبى حاتم بسنده عن نعيم القارى أنه قال فى قوله ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ قال إلى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذى هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبى ﷺ كما فسر ابن عباس سورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله ﷺ نعى إليه وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر على ذلك وقال : لا أعلم منها غير الذى تعلم ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله : ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ بالموت وتارة بيوم القيامة الذى هو بعد الموت وتارة بالجنة التى هى جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق وقوله تعالى : ﴿ **قل ربى أعلم من**

جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين﴾ أى قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربى أعلم بالمهتدين منكم ومنى وستعلمون لمن تكون له عاقبة الدار ولمن تكون العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة . ثم قال تعالى مذكراً لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم **﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾** أى أما كنت تظن قبل إنزال الوحى إليك أن الوحى ينزل عليك **﴿ولكن رحمة من ربك﴾** أى إنما أنزل الوحى عليك من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة **﴿فلا تكونن ظهيرا﴾** أى معيناً **﴿للكافرين﴾** ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم **﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾** أى لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ولا تلو على ذلك ولا تبال فإن الله معل كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال **﴿وادع إلى ربك﴾** إى إلى عبادة ربك وحده لا شريك له **﴿ولا تكونن من المشركين﴾** وقوله : **﴿ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو﴾** أى لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغى الألوهية إلا لعظمته وقوله : **﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾** إخبار بأنه الدائم الباقى الحى القيوم الذى تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى : **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ههنا **﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾** أى إلا إياه وقد ثبت فى الصحيح من طريق أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد « ألا كل شىء ما خلا الله باطل »** » وقال مجاهد والثورى فى قوله : **﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾** أى إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخارى فى صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافى القول الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول والآخر الذى هو قبل كل شىء وبعد كل شىء . قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا فى كتاب التفكر والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبى بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمر ابن سليم الباهلى حدثنا أبو الوليد قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتى الخربة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين : فيقول أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾ وقوله : ﴿ **له الحكم** ﴾ أى الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ أى يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .



الدروس المستفادة من أحاديث رسول الله ﷺ

وبعد هذا الطواف المبارك نطوف حول رياض السنة لنقطف منها الثمار الدانية التى تتلاقى مع الآيات السابقات فى مودة ورحمة تأخذ بيد السارى إلى شاطىء النجاة فإلى هذه المجموعة المقدسة من كلام رسول الله ﷺ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يزال قلب الكبير شاباً فى اثنتين فى حب الدنيا وطول الأمل** » .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر** » . [رواهما الشيخان والترمذى عن كعب بن مالك رضى الله عنه] عن النبى ﷺ قال : « **ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » . [رواه الترمذى والإمام أحمد] .

عن عبد الله رضى الله عنه قال : خط النبى ﷺ « **خطا مربعا وخط خطا فى الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذى هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا** » [رواه البخارى والترمذى] .

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم** .

عن أبى بكرة رضى الله عنه أن رجلًا قال يارسول الله أى الناس خير قال : « **من طال عمره وحسن عمله قال فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله** » [رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه] . عن النبى ﷺ قال : « **أعذر الله إلى إمرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة** » .

وقال علىّ رضى الله عنه ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فكل أم يتبعها ولدها واليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل .

إن المعيار الصادق والميزان الحكيم الذى وزن الإسلام به الأمور وقيم به الرجال وحدد به المفاهيم هو ميزان التقوى فلا المال ولا الحسب ولا النسب ولا القوة تصلح أن تكون معياراً لقيمة من القيم أو ميزاناً لتقييم أياً كان نوعه بل أن منطق الإسلام يحدد المعيار والميزان فى قوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ فليس الغنى بالمال شرفاً كما أن الفقر على الفضيلة ليس عيباً .

عن سعد رضى الله عنه قال كنا مع النبى ﷺ ستة نفر فقال : المشركون للنبى ﷺ اطرد هؤلاء لا تجترئون علينا وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله وحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾

[رواه مسلم]

عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله والله إنى لأحبك فقال : انظر ماذا تقول قال والله أنى لأحبك فقال انظر ماذا تقول قال والله إنى لأحبك ثلاث مرات فقال : إن كنت تحبنى فاعد للفقر تجفافا فإن الفقر أسرع إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه .

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**عرض علىّ ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو قال ثلاثاً أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك**» .

وعنه عن النبى ﷺ قال : «**إن أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضاً فى الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه**» [رواه الترمذى] .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال مر رجل على النبى ﷺ فقال لرجل جالس عنده ما رأيك فى هذا ؟ فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت النبى ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك فى هذا ؟ فقال يارسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حرى إن خطب ألا يشفع وإن قال ألا يسمع لقوله فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا .

عن مرادس الأسلمى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «**يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة**» [رواهما الشيخان] .

وقيل لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال نعم قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم قال

فأنت من الأغنياء قال فإن لى خادماً قال فأنت من الملوك . [رواه مسلم] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **اللهم ارزق آل محمد قوتاً** » . [رواه البخارى والترمذى ومسلم بلفظ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً] . وللترمذى ومسلم قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله . وفى رواية طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع .

عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء** » [رواه الشيخان والترمذى] .

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء** » [رواه الشيخان] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام** » .

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة** » .

وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله ﷺ : « **يا عائشة إن أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة**

الأغنياء ولا تستخلقى ثوباً حتى ترقعيه» [روى هذه الثلاثة الترمذى] .

إن رسول الله ﷺ يضرب المثل الأعلى والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة عندما تخبرنا عائشة رضى الله عنها فتقول ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض . وعنها رضى الله عنها قالت توفى ﷺ وما فى رفى من شىء يأكله ذو كبد إلا شطر من شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى . رواهما الشيخان والترمذى ولمسلم والترمذى ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض . ولمسلم لقد مات النبى ﷺ وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين . وعنها قالت كان يأتى علينا الشهر ما يوقد فى بيتنا نـار إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحم .

وعنها رضى الله عنها قالت لعروة يا ابن أختى إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله ﷺ نار فقلت ما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح كانوا يمنحون منها رسول الله ﷺ فيسقيناه .

عن قتادة رضى الله عنه قال كنا نأتى أنس بن مالك رضى الله عنه وخبازه قائم فقال كلوا فما أعلم النبى ﷺ رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاة سميطا بعينه قط . [رواه البخارى] .

عن عبد الله رضى الله عنه قال نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه فقلنا يارسول الله لو اتخذنا لك (أى فراشا لينا) فقال ما لى وما للدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج النبى ﷺ فى ساعة لا يخرج فيها

ولا يلقاه فيها أحد فأتاه أبو بكر رضى الله عنه فقال ما جاء بك يا أبا بكر فقال خرجت ألقى رسول الله ﷺ وأنظر وجهه فلم يلبث أن جاء عمر فقال ما جاء بك يا عمر قال الجوع يارسول الله فقال ﷺ وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى وكان رجلا كثير النخل والشاء ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لإمرأته أين صاحبك فقالت انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة فوضعها ثم جاء يلتزم النبى ﷺ ويفديه بأبيه وأمه ثم انطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطاً ثم انطلق إلى نخله فجاء بقنو فوضعه فقال النبى ﷺ أفلا تنقيت لنا من رطبه فقال يارسول الله إنى أردت أن تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله ﷺ : هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاماً فقال النبى ﷺ : لا تذبحن ذات دَرّ فذبح لهم عناقاً أو جديا فأتاهم بها فأكلوا فقال النبى ﷺ : هل لك خادم ؟ قال لا . قال فإذا أتانا سبى فأتنا فأتى النبى ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبى ﷺ اختر منهما . فقال يانبى الله اختر لى فقال النبى ﷺ إن المستشار مؤتمن خذ هذا فإنى رأيته يصلى واستوصى به معروفاً فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت ما أنت ببالغ ما قال فيه النبى ﷺ حتى تعتقه فقال هو عتيق فقال النبى ﷺ : إن الله لم يبعث نبياً ولا خليفة إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقى .

وعنه أنهم أصابهم جوع فأعطاهم رسول الله ﷺ تمرة تمرة .

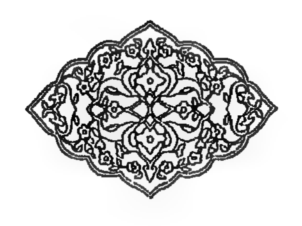
عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لقد أخفت فى الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علىّ ثلاثون بين يوم وليلة ومالى ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال** » .

وقيل لسهل رضى الله عنه أكل النبى ﷺ النقى الحوارى فقال : ما رأى النبى ﷺ النقى حتى لقى الله فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد النبى ﷺ قال ما كانت لنا مناخل قيل فكيف كنتم تصنعون فى الشعير قال كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نثريه فنعجنه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول آلله الذى لا إله إلا هو أن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وأن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مر بى عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر فلم يفعل ثم مر بى أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ثم قال ياأبا هر . قلت : لبيك يارسول الله قال الحق فمضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لى فدخلت فوجد لبناً فى قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر . قلت لبيك يارسول الله . قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا أمرنى فأعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال ياأبا هر قلت لبيك يارسول الله قال خذ فأعطهم القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبى ﷺ وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلىّ فتبسم فقال ياأبا هر قلت لبيك يارسول الله قال : بقيت أنا وأنت قلت صدقت

يارسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال فأرنى فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة . [رواه البخارى والترمذى والإمام أحمد] .

عن فضالة بن عبيد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصية وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة قال فضالة وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ . [الترمذى. بسند صحيح] .



الدرس الخامس

وهنا ننتقل بالقارىء الكريم إلى الدرس الخامس من الدروس المستفادة التى سبق أن قدمنا أربعة منها وقد بين الله هذا الدرس فى سورة **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾** .

قال العلامة ابن كثير تعقيباً على هذه الآيات الكريمة وتفسيراً لها : هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى : **﴿إنا بلوناهم﴾** أى اختبرناهم **﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾** وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه **﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾** أى حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلًا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشىء **﴿ولا**

يستثنون ﴾ أى فيما حلفوا به ولهذا حنثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ أى أصابتها آفة سماوية ﴿ **فأصبحت كالصريم** ﴾ قال ابن عباس أى كالليل الأسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع إذا حصد أى هشيما يبسا وقال ابن أبى حاتم ذكر عن أحمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **إياكم والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيء له** » ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم** ﴾ قد حرموا خير جنتهم بذنبهم ﴿ **فتنادوا مصبحين** ﴾ أى لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجذاذ أى القطع ﴿ **أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ أى تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرثهم عنباً ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون** ﴾ أى يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى : ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ أى يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى : ﴿ **وغدوا على حرد** ﴾ أى قوة وشدة وقال مجاهد : ﴿ **وغدوا على حرد** ﴾ أى جد وقال عكرمة على غيظ وقال الشعبى ﴿ **على حرد** ﴾ على المساكين وقال السدى ﴿ **على حرد** ﴾ أى كان اسم قريتهم حر فأبعد السدى فى قوله هذا ﴿ **قادرين** ﴾ أى عليها فيما يزعمون ويرومون ﴿ **فلما رأوها قالوا إنا لضالون** ﴾ أى فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهى على الحالة التى قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا ﴿ **إنا لضالون** ﴾ أى قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها قال ابن

عباس وغيره ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هى فقالوا ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ أى بل هى هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ﴿ **قال أوسطهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أى أعدلهم وخيرهم ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ قال : مجاهد والسدى وابن جريج ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ أى لولا تستثنون قال السدى وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿ **قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين** ﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لاينجع ولهذا قالوا ﴿ **إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون** ﴾ أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ﴿ **قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين** ﴾ أى اعتدينا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا .

﴿ **عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون** ﴾ قيل رغبوا فى بذلها لهم فى الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة والله أعلم . ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما

بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى : ﴿ **كذلك العذاب** ﴾ أى هكذا العذاب عذاب من خالف أمر الله وبخل بما أتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبدل النعمة نعمة الله كفرا . ﴿ **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ أى هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل .

فانظر يا أخى نظرة المتأمل مدى الخطر المترتب على نطق اللسان بالسوء ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ وكيف تجاوب اللسان مع النية ؟ ﴿ **ولا يستثنون** ﴾ أى صمموا وعزموا دون أن ينطلقوا بالمشئة المهيمنة أو يستثنوا نصيب الفقراء وكيف قطعوا على أنفسهم عهداً أن يقوموا فى الصباح قبل أن تبرز الغزالة من خدرها وقبل أن يتنفس الصبح ويسفر الفجر فعاملهم الله بالعقاب من حيث لم يحتسبوا وكانوا وقتها نائمين والعقاب يقظ ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ ثم أنظر وقد عزموا على أن يقطعوها هم فأحرقتها النار فأصبحت كالصريم وكيف قاموا من سباتهم ﴿ **فتنادوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ وكيف أسروا النجوى فى أنفسهم ﴿ **وأقبل بعضهم على بعض** ﴾ فانطلقوا وهم يتخافتون وعزموا على الأمر السيء والنية المشئومة ﴿ **أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ وغدوا فى زعمهم قادرين على المنع ﴿ **وغدوا على حرد قادرين** ﴾ فماذا كانت المفاجأة كانت رهيبة ومهيبة وعنيفة المنع ﴿ **وغدوا على حرد قادرين** ﴾ فماذا كانت المفاجأة كانت رهيبة ومهيبة وعنيفة تنخلع من هولها الأفئدة وتنفطر من جبروتها القلوب . لقد ضلوا عن طريق جنتهم

فى زعمهم لأنها أصبحت أثراً بعد عين ﴿ **فلما رأوها قالوا إنا لضالون** ﴾ ثم ثابوا إلى رشدهم ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ . ثم قال أعقلهم وأكيسهم ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ فقالوا بعد فوات الأوان ﴿ **سبحان ربنا إنا كنا طاغين** ﴾ . قالوها والندم يكوى النفوس ويسيل النفس مرارة ولوعة ﴿ **عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون** ﴾ وهكذا تعمل النية عملها .

صدقت ياسيدى يارسول الله : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى** » وصدقت يا أبا القاسم : « **ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وإن قوماً غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل** » .

أخى المسلم إليك هذه الوصايا النبوية الشريفة أرجو أن تعمل بها : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب** » . [رواه الشيخان والترمذى ولفظه أن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فيالنار] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم** » [رواه البخارى والترمذى ولفظه إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** » [رواه الأربعة] .

عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » [رواه الشيخان والترمذى] .

عن سفيان الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله حدثنى بأمر أعتصم به قال : « **قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا** » .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ما النجاة قال : « **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وإبك على خطيئتك** » .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى** » .

عن أم حبيبة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : « **كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى** » .

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تذكر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا** » .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله** » .

عن واثلة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك** » [روى هذه السبعة الترمذى] .

ومن وصايا الرسول ﷺ السلامة فى العزلة .

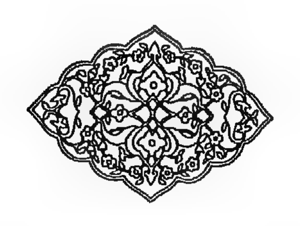
عن أبي سعيد رضى الله عنه قال جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أى الناس خير قال : « **رجل جاهد بنفسه وماله ورجل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره** » [رواه البخارى وأحمد] .

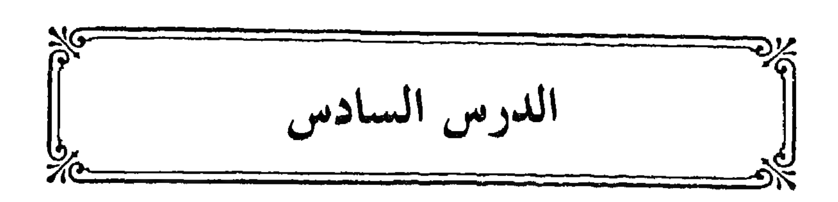
وعنه عن النبى ﷺ قال : « **يأتى على الناس زمان يكون خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها سعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن** » [البخارى وأبو داود] .

وعن عطية السعدى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس** » [رواه الترمذى والحاكم] .

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن أنس رضى الله عنه قال توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال رسول الله ﷺ : « **أولا تدرى فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه** » [الترمذى] .





الدرس السادس

عن المال والنفس

يقول فيه مولانا تبارك وتعالى : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر** ﴾ .

والمراد بهذا الذى يقص الله علينا شأنه هو الوليد بن المغيرة الذى سبق أن ذكر الله صفاته عندما أساء الوليد الأدب على رسول الله ﷺ فاتهمه بالجنون قال تعالى : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ .

بعد أن نفى الله تعالى تهمة الجنون عن حبيبه ومصطفاه وأثبت له الأجر والثواب الذى لا ينقطع أبدا ولا ينقضى سرمدا ومدحه بما منحه وشهد له بالخلق العظيم . قال تعالى مهدداً وموعداً فسترى وترون من المجنون ومن الذى افتتن فى عقله ومحن ثم واسى حبيبه فقال : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ثم ذكر بعد ذلك الوليد فقال :

﴿ فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم ﴾ .

ففى الصفة الأولى جعل التكذيب من شأنه فهو من المكذبين بالحق المجادلين بالباطل وإنه ومن على شاكلته يودون لو مال الرسول إليهم فهم بذلك يدهنون ويخادعون ووصفه ثانياً بأنه حلاف والحلاف صيغة مبالغة من الحلف والرجل إذا أكثر حلفه كثر كذبه لأنه سيستهين بجلال الله وعظمته ووصفه ثالثاً بأنه مهين أى حقير وأى حقارة تلك التى يتصف صاحبها بهذه الصفات ووصفه الله تعالى رابعاً أنه هماز أى كثير الهمز والعيب والطعن ووصفه تعالى خامساً إنه مشاء بنميم أى كثير المشى فى الإفساد بين الناس وقطع الصلات والقضاء على ما بين النفوس من مودة ورحمة وقد صدق الرسول ﷺ إذ يقول : « **لا يدخل الجنة نمام** » وبين الله تعالى صفته السادسة بقوله مناع للخير أى كثير المنع لا يجود إنما هو بخيل شحيح والبخل والإيمان لا يجتمعان فى قلب واحد وبين الله صفته السابعة بأنه معتد أى ظالم يتجاوز حدود ما أمر الله به معتمداً على ماله وبنيه وبين الله تعالى صفته الثامنة بأنه أثيم أى كثير الآثام والذنوب والأوزار ويختم الله هذه الصفات بصفتين مناسبتين لما سبق من الصفات فيصفه فى التاسعة بأنه عتل أى قاس القلب غليظ لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا ثم يصفه عاشرا بأنه زنيم أى فاحش سيء الخلق ، ما الذى دفعه إلى كل هذا كثرة ماله وكثرة أولاده جعلتا قلبه مليئاً بالغرور والكبر حتى قال عن القرآن أنه أساطير الأولين وخرافات السابقين فأوعده الله عقاباً من جنس العمل قال : ﴿ **سنسمه على الخرطوم** ﴾ أى سنكويه على أنفه ونحدث له وشماً أى علامة على عضو الجمال فى الوجه ولم يقل على أنفه إنما قال على الخرطوم تشبيهاً له

بالفيل فالخرطوم هو أنف الفيل ويزيدنا القرآن الكريم توكيدا لعقوبته وتفضيلا لشخصية الوليد فيقول فى سورة المدثر : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيدا** ... ﴾ إلخ .. الآيات .

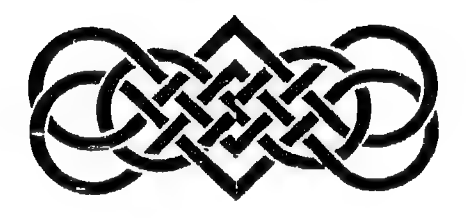
يقول العلامة ابن كثير : يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعيم الدنيا فكفر بأنْعُم الله وبدلها كفراً وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيدا** ﴾ أى خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى : ﴿ **مالاً ممدودا** ﴾ أى واسعاً كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له ﴿ **بنين شهودا** ﴾ قال مجاهد لا يغيبون أى حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر ابن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد : كانوا عشرة وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده ﴿ **ومهدت له تمهيدا** ﴾ أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ﴿ **ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا** ﴾ أى معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله تعالى : ﴿ **سأرهقه صعودا** ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال : « **ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدا** » .

وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا . قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج

وفيه غرابة ونكارة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى ابن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرى قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبى سعيد عن النبى ﷺ ﴿ **سأرهقه صعودا** ﴾ قال : « **هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت** » .

ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا : صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعودا : صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد ﴿ **سأرهقه صعودا** ﴾ أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لا راحة فيه واختاره ابن جرير وقوله تعالى : ﴿ **إنه فكر وقدر** ﴾ أى إنما أرهقناه صعودا أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال ﴿ **وقدر** ﴾ أى تروى ﴿ **فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر** ﴾ وعاد عليه ﴿ **ثم نظر** ﴾ أى أعاد النظرة والتردى ﴿ **ثم عبس** ﴾ أى قبض بين عينيه وقطب ﴿ **وبسر** ﴾ أى كلح وكره وقوله : ﴿ **ثم أدبر واستكبر** ﴾ أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن ﴿ **فقال إن هذا إلا سحر يؤثر** ﴾ أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولذا قال ﴿ **إن هذا إلا قول البشر** ﴾ أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومى أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد ابن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال عجباً لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ما هو بشعر من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله

أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون إنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد أقد تحدث بن عشيرتى !



الدرس السابع

فى الصبر على حكم الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : ﴿ **ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** ﴾ [البخارى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : ﴿ **مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد** ﴾ [رواه الشيخان والترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** » .

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاءاً قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة .

عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت الوجع أشد منه على رسول الله ﷺ .

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى يوم القيامة** » .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط** » .

عن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له** » .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا بالمقاريض** » [روى الترمذى هذه السبعة] .

عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا مع النبى ﷺ فقال : « **أحصوا لى كم يلفظ الإسلام فقلنا يارسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة قال إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا . قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سراً** » .

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الله لا يظّلم مؤمناً حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا حتى إذ أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها** » [رواهما مسلم] .

الدرس الثامن

فى القضاء والقدر

عن عبد الله رضى الله عنه قال : الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فسمعه رجل فأتى حذيفة فأخبره بذلك وقال كيف يشقى رجل بغير عمل فقال له حذيفة أتعجب من ذلك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص** » [رواه مسلم] .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك أى رب ذكر أو أنثى شقى أو سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه** » [رواه الشيخان] .

عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم وفى يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال : « **ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يارسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال اعملوا**

فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ » [رواه الأربعة] .

قيل يارسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما تستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال كل عامل ميسر لعمله . [رواه مسلم والترمذى] . ولفظه قال عمر يارسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو فيما قد فرغ منه فقال فيما قد فرغ منه ياابن الخطاب كل ميسر . أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء .

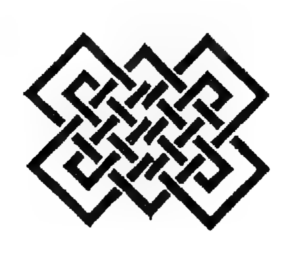
عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا يارسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشىء قضى عليهم ومضى أو فيما يستقبلون به فقال لا بل قضى عليهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل . **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾** [رواه مسلم والترمذى] .

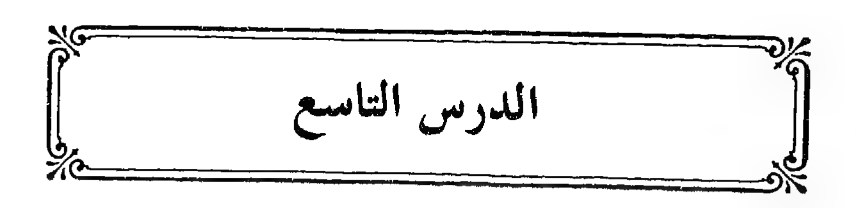
عن عبد الواحد بن سليم رضى الله عنهما قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبى رماح فقلت يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون فى القدر قال يابنى أتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ الزخرف فقرأت **﴿ حم . والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون وإنه فى أم الكتاب لدنيا لعلى حكيم﴾** . فقال أتدرى ما أم الكتاب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض فيه إن فرعون من أهل النار وفيه تبت يدا أبى لهب قال عطاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته ما كان وصية أبيك عند الموت قال دعانى أبى فقال

لى يا بنى اتق الله واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار . إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد** » [رواه الترمذى وأبو داود] .

وقال عبد الله بن فيروز الديلمى أتيت أبى بن كعب فقلت له وقع فى نفسى شىء من القدر فحدثنى بشىء لعل الله تعالى أن يذهبه من قلبى فقال لو أن الله تعالى عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته إياهم خيراً لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله تعالى ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار ، قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة ابن اليمان فقال مثل ذلك ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى ﷺ بمثل ذلك . [رواه أبو داود] .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى** » [رواه الترمذى فى الإيمان بسند حسن] .





الدرس التاسع

النهى عن الجدل فى قدرالله تعالى

من السمات التى يتسم بها الإسلام أنه دين عملى واقعى يحترم العقل ويقيم الموازين للفكر السليم ولا يرضى لأتباعه أن يجادلوا فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ويقرر أن الله تعالى إذا غضب على قوم رزقهم الجدل ومنعهم العمل وهذه إشارة إلى ضلالهم بعد الهدى ، وفى القرآن الكريم موقفان يدلان دلالة صادقة على أن المسلم إذا سأل ينبغى أن يسأل عما يفيد . سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة أى منازل القمر فلم تكن الإجابة عما صنعت الأهلة ولا عن معدنها إنما كانت الإجابة عن فوائدها لم يقل لهم إن الأهلة من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص كل هذا لا طائل تحته إنما علمهم أن يسألوا عما يفيد فأجابهم بما يفيد قال تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج** ﴾ وسألوه ﷺ عن ماذا ينفقون

فكانت الإجابة لا عن ماذا إنما كانت لمن ينفقون قال تعالى : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** ﴾.فكانت الإجابة هنا : ما أنفقتم من خير فلهذه المصارف ولا داعى إلى أن يقول ما أنفقتم من ذهب أو فضة لأن الخير أعم من هذا ونخلص من هذه المواقف إلى أن المؤمن يجب أن يكون رقيباً على لسانه محافظاً على رقته بصيراً بعيوبه عالماً بشئونه .

ومما نهى عنه الإسلام الجدل فى القدر لأن الأمة إذا وقعت فى هذه الشباك كان ذلك دليلًا على إفلاسها الفكرى وقد ورد عن رسول الله ﷺ فى ذلك أحاديث نوردها فيما يلى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر حتى احمر وجهه حتى كأنما فُقِىءَ فى وجنتيه الرمان فقال : **« أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر عزمت عليكم عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه »** .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : **« لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه »** [رواهما الترمذى] .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : **« ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبى كان : الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله والتارك لسنتى »** [رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح] .

ومن ثم فإن الآجال والأرزاق محدودة .

قال الله تعالى : **﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾** قالت أم حبيبة رضى الله عنها اللهم متعنى بزوجى رسول الله ﷺ وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية فقال لها رسول الله ﷺ : **« إنك سألت الله لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئاً منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئاً بعد حله ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيراً لك ، فقال رجل يا رسول الله**

القردة والخنازير هى مما مسخ فقال إن الله عز وجل لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك » [رواه مسلم] .

وقال خالد الحذّاء رضى الله عنه قلت للحسن يا أبا سعيد أخبرنى عن آدم عليه السلام أللسماء خلق أم للأرض ، قال لا بل للأرض قلت أرأيت لو اعتصم فلم يأكل من الشجرة قال لم يكن له منه بد قلت أخبرنى عن قوله تعالى : ﴿ **ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم** ﴾ قال إن الشياطين لا يفتنون بضلالتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم وسأله عن قوله تعالى : ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ قال خلق هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه . [رواهما أبو داود] نعوذ بالله من سوء الخاتمة :

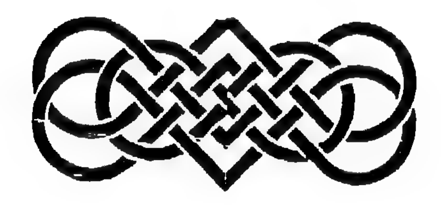
عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك** » فقلنا الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : « **نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء** » [رواه الترمذى ومسلم] ولفظه « **إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** » . ثم قال أبو هريرة واقرءوا إن شئتم ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها** ﴾ .

عن سهل رضى الله عنه أن رجلًا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين فى غزوة غزاها مع النبى ﷺ فنظر النبى ﷺ له فقال : « **من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا** » فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت

فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه فأقبل الرجل إلى النبى ﷺ مسرعاً فقال أشهد أنك رسول الله فقال وما ذاك ؟ قال قلت على فلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه ، فقال النبى ﷺ عند ذلك : « **إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم** » [رواه البخارى] .

عن أنس عن النبى ﷺ قال : « **إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله فقيل : كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت** » [رواه الترمذى بسند صحيح] .



وجوب المبادرة بالعمل الصالح

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمس مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض الدنيا** » [رواه مسلم والترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال سبعاً « هل تنتظرون إلا فقرَاً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفندا أو موتاً مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر** » [رواه الترمذى والحاكم] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال ستاً ، طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة** » [رواه مسلم وأحمد] .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » [رواه البخارى والترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره** » [رواه الشيخان والترمذى] . ومعنى الشهوات أى ما تشتهيها النفوس وتستلذها من المحرمات كالزنا وشرب الخمر والملاهى فهذه

كالحجاب حول النار فمن ارتكبها فقد تسبب فى دخول النار والمكاره ما تكرهه النفوس من التكاليف الشرعية ومكارم الأخلاق : كالصبر وكظم الغيظ والعفو عن المسيء والإحسان إليه فهذه كالحجاب حول الجنة فمن قام بها فقد سبب لنفسه الجنة ولفظ مسلم والترمذى « **حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات** » .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك** » [رواه البخارى والإمام أحمد] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين وألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل : ﴿أبى يغترون أم علىّ يجترئون فبى حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانا﴾** .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **ما من أحد يموت إلا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال : إن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون نزع** » .

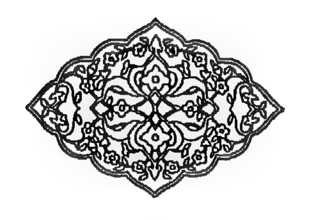
وعنه عن النبى ﷺ قال : « **من خاف أولج ومن أولج بلغ المنزل إلا أن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة** » .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم** » .

وعن هانىء قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال إن النبى ﷺ قال : « **إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه**

وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه » [رواه الترمذى] .

عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعودات تجأرون إلى الله ، لوددت أنى كنت شجرة تعضد** » أى كنت أود أنى كنت خلقت شجرة فتقطع وتذهب وتصير فى خبر كان ، فهذه من النبى ﷺ كلمة كبيرة تدل على أن ما يراه من المغيبات عنا عظيم يتمنى الموت والفناء من رؤيته » .



التوكل على الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **يدخل الجنة من أمتى سبعون ألف بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** » [رواه الشيخان والترمذى] .

عن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا** » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن أنس رضى الله عنه أن رجلًا قال يارسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل قال أعقلها وتوكل . [رواه الترمذى] .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل أو آجل عاجل** » .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان أخوان على عهد النبى ﷺ فكان أحدهما يأتى النبى ﷺ والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبى ﷺ فقال : « **لعلك ترزق به** » .

وكتب معاوية رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها أن أكتبى لى كتاباً توصينى فيه ولا تكثرى علىّ فكتبت إليه : سلام عليك أما بعد فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله**

مؤونة الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» والسلام عليك . [روى هذه الثلاثة الترمذى] .

فى الرقائق :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه وما يزال عبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته** » [رواه البخارى والإمام أحمد] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « **إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها . قال حماد رضى الله عنه فذكر لنا من طيب ريحها والمسك ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به إلى ربه عز وجل ثم يقول انطلقوا به إلى آخر الأجل قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل قال ورد رسول الله ﷺ ربطة كانت عليه على أنفه هكذا** » [رواه مسلم] .

عن البراء رضى الله عنه قال خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال : « **إن المؤمن إذا وضع**

فى قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع خفق نعالهم يأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول : هو رسول الله ﷺ فيقولان وما يدريك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قول الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ فينادى منادى من السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد بصره . وأن الكافر أو المنافق إذا وضع فى قبره وعادت روحه فى جسده يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى . فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى قال فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار قال : فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ثم يقبض له أعمى أبكم معه مرْزبه من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح . [رواه أبو داود والنسائى] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ويقال له نم فيقول إرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا**

أدرى فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما من حافظين رفعا إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار فيجد الله فى أول الصحيفة وفى آخر الصحيفة خيراً إلا قال الله تعالى أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » [رواهما الترمذى فى الجنائز] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن لكل شىء شرة ولكل شرة فترة فإن كان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه » .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « إن الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك » [روى هذه الثلاثة الترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « الطاعم الشاكر الصائم الصابر » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف النبى ﷺ يوماً فقال : « يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . ولو

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » [رواه الترمذى] .

عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة » [رواه الترمذى وأحمد وابن حبان] .

عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » [رواه الترمذى وأحمد والحاكم] .

عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله تعالى والذى أعطاه وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى ورجل كان فى سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له . والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزانى والفقير المختال والغنى الظلوم » [رواه الترمذى وابن حبان والحاكم] .

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى ناساً كأنهم يتكشرون فقال : « أما إنكم لو أكثرتم ذكرها زم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن . قال له القبر : مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلىّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة

وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر فقال له القبر لا مرحبا ولا أهلا .. أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهرى إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تلتقى عليه وتختلف أضلاعه . قال رسول الله ﷺ عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال ويقضى الله له سبعين تنينا ثعباناً لو أن واحداً منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب قال : وقال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » . [رواه الترمذى] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « من أكل طيباً وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة فقال رجل يا رسول الله إن هذا اليوم فى الناس لكثير قال وسيكون فى قرون من بعدى » [رواه الترمذى والحاكم] .

واعلم يا أخى أن فضل الله هو السبب الأول فى دخول الجنة فالمؤمنون يدخلون بفضله تعالى ويقتسمون درجاتها بأعمالهم وهذا هو الجمع بين قوله تعالى : ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ . وقوله جل شأنه : ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعلمون ﴾ وبين قول النبى ﷺ ﴿ قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا يا رسول الله ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل ﴾ وفى رواية « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله » .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » . [رواه الشيخان والنسائى] .

فضـــل الصـــدقة

قال الله جل شأنه : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم * ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة من عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم** ﴾ .

بينما يرغب القرآن فى الصدقات فى هذا الموضع يحذر تحذيراً شديداً فى موضع آخر من كنز المال وهو المال الذى لم تخرج زكاته فيقول جل شأنه : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الخير : « **اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله** » .

ازرع جميلًا ولو فى غير موضعه — فلن يضيع جميل أينما زرع
إن الجميل وإن طال الزمان به — فليس يحصده إلا الذى زرع

واعلم يا ابن آدم أنك يوم تموت تصاب بمصيبتين : الأولى أنك تترك مالك كله والثانية أنك تسأل عن مالك كله . وقد قيل للرجل الصالح محمد بن كعب القرظى وكان غنياً قيل له وهو على فراش الموت ماذا تركت لأولادك من المال قال ادخرت مالى لنفسى عند ربى وادخرت ربى لأولادى .

نعم : ﴿ **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديداً * إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾ .

وما أجل هذا الموقف المهيب : (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطتع عليه صبراً) .

هذا خطاب وجهه العبد الصالح إلى كليم الله ونجيه موسى وتأمل معى : نبى من أولى العزم وعبد صالح علمه الله من لدنه علماً يتوجهان لرفع جدار يريد أن ينقض ليحتفظ بكنز تحته وسر كل هذا صلاح الآباء فإنه ينفع الأبناء بل وتقوى الأجداد تنفع الأحفاد .

وتعال معى لنطوف فى رياض السنة ننشق عبيرها الذى يحدثنا أبو ذر رضى الله عنه فيقول : «خرجت ليلة من الليالى فإذا رسول الله ﷺ يمشى وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشى معه أحد فجعلت أمشى فى ظل القمر فالتفت فرآنى فقال من هذا قلت أبو ذر جعلنى الله فداءك قال تعاله فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فى يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً فمشيت معه ساعة فقال اجلس ههنا فاجلسنى فى قاع حوله حجارة فقال اجلس ههنا حتى أرجع إليك فانطلق فى الحرة حتى لا أراه فلبث عنى فأطال اللبث ثم سمعته وهو مقبل يقول : وإن زنى فلما جاء لم أصبر فقلت يا نبى الله جعلنى الله فداءك من تكلم فى جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً قال ذاك جبريل عرض لى فى جانب الحرة فقال بشر أمتك أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة فقلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى قال نعم وإن شرب الخمر» . وعنه قال : كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال : يا أبا ذر : «قلت لبيك يا رسول الله قال ما أحب أن أحداً ذاك عندى ذهب أمس ثالثة عندى منه دينار إلا ديناراً

أرصده لدين إلا أن أقول به فى عباد الله هكذا حثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله ثم مشينا . قال يا أبا ذر مكانك حتى آتيك فانطلق حتى توارى عنى . قال فسمعت لغطا وصوتاً فقلت لعل رسول الله ﷺ عرض له فهممت أن أتبعه ثم ذكرت قوله لا تبرح مكانك حتى آتيك فلما ذكرت له الذى سمعت فقال ذاك جبريل أتانى فقال : من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .. وقلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق » . [رواهما الشيخان] .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال : « **إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجراً أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلَامى فإنه يمش يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار** » [رواه مسلم] .

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فيقول الذى أعطيها لو جئتنا بها بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة لى بها فلا يجد من يقبلها** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً** » [رواهما الشيخان] .

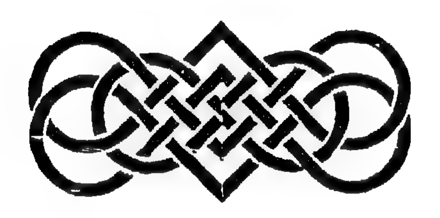
وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً** » [رواه مسلم] .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية . فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية . قال اللهم لك الحمد على زانية . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنى فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غنى . قال اللهم لك الحمد على غنى . لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق على سارق .. فقال : اللهم لك الحمد على زانية وعلى غنى وعلى سارق . فأتى فقيل له أما صدقتك فقد قبلت . أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ولعل الغنى يعتبر فينفق مما أعطاه الله ولعل السارق يستعف بها عن سرقته** » .

وعنه عن النبى ﷺ قال : « **مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما . إذا هم المتصدق بصدقة اتسعت عليه حتى تعفى أثره . وإذا هم البخيل بصدقة تقلصت عليه وانضمت يداه إلى تراقيه وانضمت كل حلقة إلى صاحبتها . قال فسمعت رسول الله ﷺ يقول : فيجهد أن يوسعها فلا يستطيع** » [رواه الشيخان] .

عن عمير مولى أبى اللحم رضى الله عنهما قال : أمرنى مولاى أن أقدد لحماً فجاءنى مسكين فأطعمته منه فعلم بذلك مولاى فضربنى فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فدعاه فقال : لم ضربته فقال يعطى طعامى بغير إذنى . فقال : الأجر بينكما . وعن أسماء رضى الله عنها قالت : قال لى رسول الله ﷺ : « **انفحى أو انضحى أو انفقى ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توعى فيوعى الله عليك** » . وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى إبله فجاءه إبنه عمر وكان راكباً فنزل . فقال لأبيه نزلت فى إبلك

وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد فى صدره فقال : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى** » [روى هذه الثلاثة مسلم] .



فصل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

هذا أمر خطير تقوم عليه حياة الأمم . فما من أمة يسودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كان السعد رائدها والنصر حليفها وألبسها الله لباس العز والشرف وما من أمة تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا كان الذل رائدها والخذلان حليفها وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

ولقد تضافرت آيات الكتاب العزيز فى مواضع شتى على أهمية هذه القضية ومن يقرأ وصية لقمان لابنه يلمح فى ذلك المدى البعيد لأهمية هذا الركن الركين : **﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾** .

ومن يقرأ التوجيهات الصارمة إلى الأمة الإسلامية يجد هذا الحصن الحصين شامخ البنيان وطيد الأركان **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾** . ثم ماذا ؟

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ .

ومن يقرأ سورة التوبة يجد أركان المجتمع السليم تقوم على هذه الدعائم **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** . وهل خيرية هذه الأمة جاءت على سبيل المجاملة ؟ كلا وألف لا . إن لخيريتها حيثيات لو زالت إحداها انتكست وارتكست وتمرغت فى غياهب الظلمات . **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** . **﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلارة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾** . فإذا تعطلت تلك الأركان عاشت الأمة على أرض النفاق وأظلم جوها واقفهر واقتلعتها عواصف الشر . قال سبحانه : **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هىحسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾** .

وما قبل الله شراء أنفس المؤمنين وأموالهم وأعطاهم الجنة إلا لما اتصفوا بهذه الصفات **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾** .

وقد جاءت السنة الشريفة شارحة وموضحة للأمر بالمعروف مبنية درجات الآمرين والناهين : قال الله تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** عن طارق بن

شهاب رضى الله عنه قال أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة يوم العيد مروان . فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك . فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » .

عن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يأمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » . [رواه مسلم فى الإيمان] .

وقيل لأسامة بن زيد رضى الله عنهما : ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال أترون إنى لا أكلمه إلا أسمعكم . والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه ولا أقول لأحد يكون على أميراً إنه خير الناس بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه** » [رواه الثلاثة] .

ولأصحاب السنن « أفضل الجهاد كلمة عدل عن سلطان جائر أو أمير جائر » عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها فى غير مواضعها : ﴿ **يا أيها الذين**

آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « **إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب** » [رواه أصحاب السنن] .

عن عبدالله رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكان يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** » . ثم قال : « **كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ليلعنكم كما لعنهم** » [رواه أبو داود والترمذى] .

عن جرير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب من قبل أن يموتوا** » .

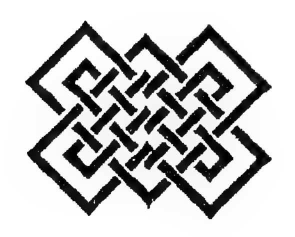
وعن العرس الكندى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا علمت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها** » [رواه أبو داود] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة** » . [رواه الطبرانى] .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** » [رواه الترمذى والطبرانى] .

وعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينما نحن حول النبى ﷺ إذ ذكرت الفتنة فقال : « **إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك يا رسول الله جعلنى الله فداك . قال : الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنكَ أمر العامة** » [رواه أبو داود والنسائى] .

ومعنى : أملك عليك لسانك : أى دع الكلام فى أحوال الناس لئلا يؤذونك ومعنى عليك بأمر خاصة نفسك : أى اشتغل بما يخصك لدينك ودنياك .



خاتمة

وبعد فقد فرغنا من املاء هذا البحث بعدما بينا فيه جانب الصراع بين النفس والمال ثم عقبنا على ذلك بقدر كبير من الهدى النبوى الشريف سائلين المولى جل فى علاه أن يباعد بيننا وبين فتنة الدنيا وفتنة المال .

فاللهم نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين يا نعم المولى ويا نعم النصير .. غفرانك ربنا وإليك المصير وصلى الله على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين ...

والله ولى التوفيق ،،،،

المؤلف
عبدالحميد كشك

من منشوراتنا

الذكر والدعاء

منهاج المسلم في اليوم والليلة وعرضه ﷺ الدعوة على القبائل

الشيخ عبد الحميد كشك

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

فهـــرس الكتـــاب

الموضـــوع	الصفحة
الإسلام فيه الأمن والأمان	٥
الأمن فى ظل الإسلام	٧
مفهوم الأمن عند الناس	٩
مفهوم الأمن الإسلامى	١١
كيف يحقق ذكر الله الأمن	٢٠
المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن	٣٦
الأمن للعــقيدة	٣٧
الأمن للنــفس	٣٧
الأمن للعــقل	٣٨
الأمن للعــرض	٣٨
الأمن للمـــال	٣٨
تحقيق الأمن للعقيدة	٣٩
التشدد فى توحيد العقيدة	٤٠
أهمية التوحيد فى المنهج الإسلامى	٤٢
الإيمان بالغيب كأساس لدعم العقيدة	٤٧
تصحيح عقيدة أهل الكتاب	٥٠
تحريم الــردة	٥٢
تحقيق الأمن للنفس	٥٤
علاج الخوف بكل أنواعه	٥٥
الخوف من فوات الرزق لا معنى له	٥٩

علاج اليـأس ٦٤
علاج مساوىء الأخلاق والدعوة إلى مكارمها ٦٨
الوفاء بالعهـود ٦٩
رعاية الحقـوق ٧٠
محاربة النفـاق ٧١
ضبط النفس وسماحة القلب ٧٣
تجنيد النفس فى وجه ذاتها وفى وجه عواطفها ٧٤
المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى ٧٥
تحقيق الأمن للعقل ٧٦
حماية العقل بالوحى الإلهى ٧٧
تحريم المسكرات التى تذهب بالعقل ٧٨
دعوة العقل إلى جولة فى الآفاق ٧٩
مخاطبة العقل بما هو أهل له ٨١
تحقيق الأمن للعرض ٨٤
تحقيق الأمن للمال ٩٠
تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية ٩١
والاعتداء على أمن الجماعة
تحريم الاكتنـاز ٩٢
تحريم الربـا ٩٣
تحريم الاحتكـار ٩٤
الاهتمام بتوثيق الدين ٩٥
الحفاظ على مال الضعيف ٩٦
تحريم الغش والرشوة ٩٧
الإنسان بين النفس والمال « الغنى فى القناعة » ١٠٢
الدرس ١٠٣
الدرس الثانـى ١٠٧

الدرس الثـالث ١١٠
الدرس الرابـع ١١٥
موقف عجـيب ١٢٦
طاغية السلطـان ١٢٨
تعقـــيب ١٣٠
الدروس المستفادة من أحاديث رسول الله ﷺ ١٣٥
الدرس الخـامس ١٤٣
الدرس السـادس « عن المال والنفس » ١٥٠
الدرس السابع « فى الصبر على حكم الله تعالى » ١٥٥
الدرس الثامن « فى القضاء والقدر » ١٥٨
الدرس التاسع « النهى عن الجدل فى قدر الله تعالى » ١٦٠
وجوب المبادرة فى العمل الصالح ١٦٤
التوكل على الله ١٦٧
فضل الصدقـة ١٧٣
فصْلٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٧٨
خاتمـــة ١٨٣

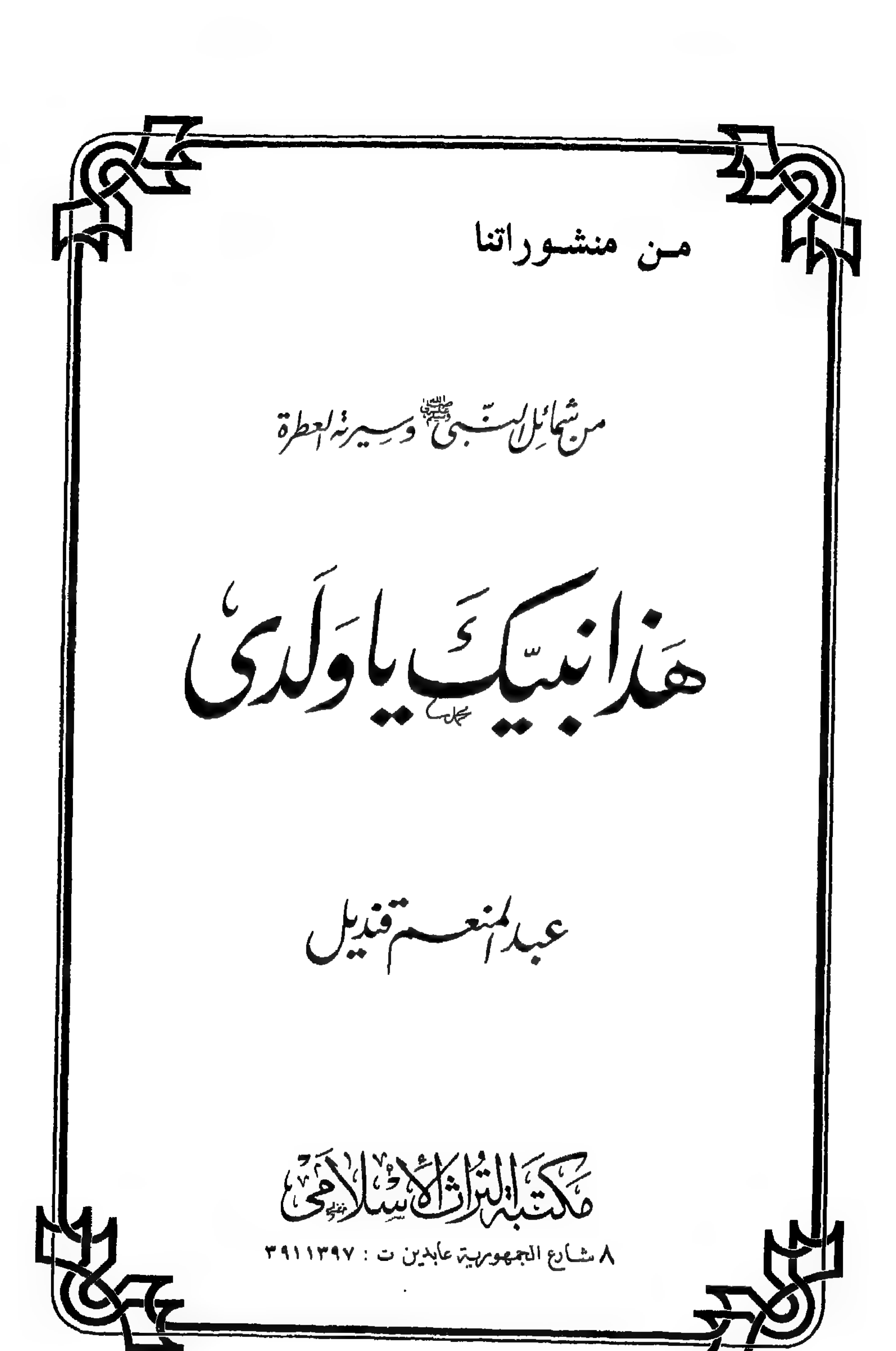
من منشوراتنا

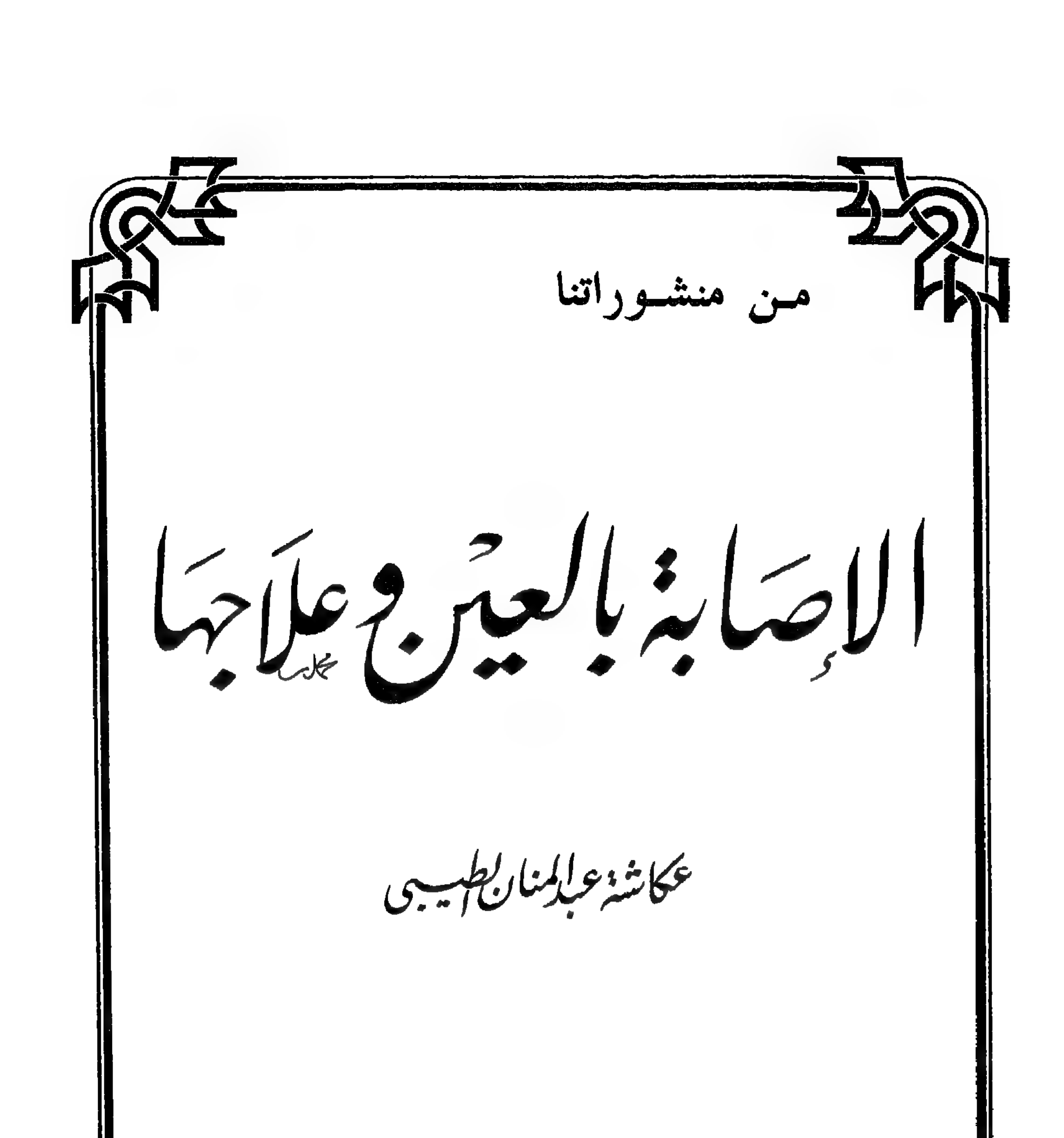
في ظلال الإيمان

الشيخ عبد الحميد كشك

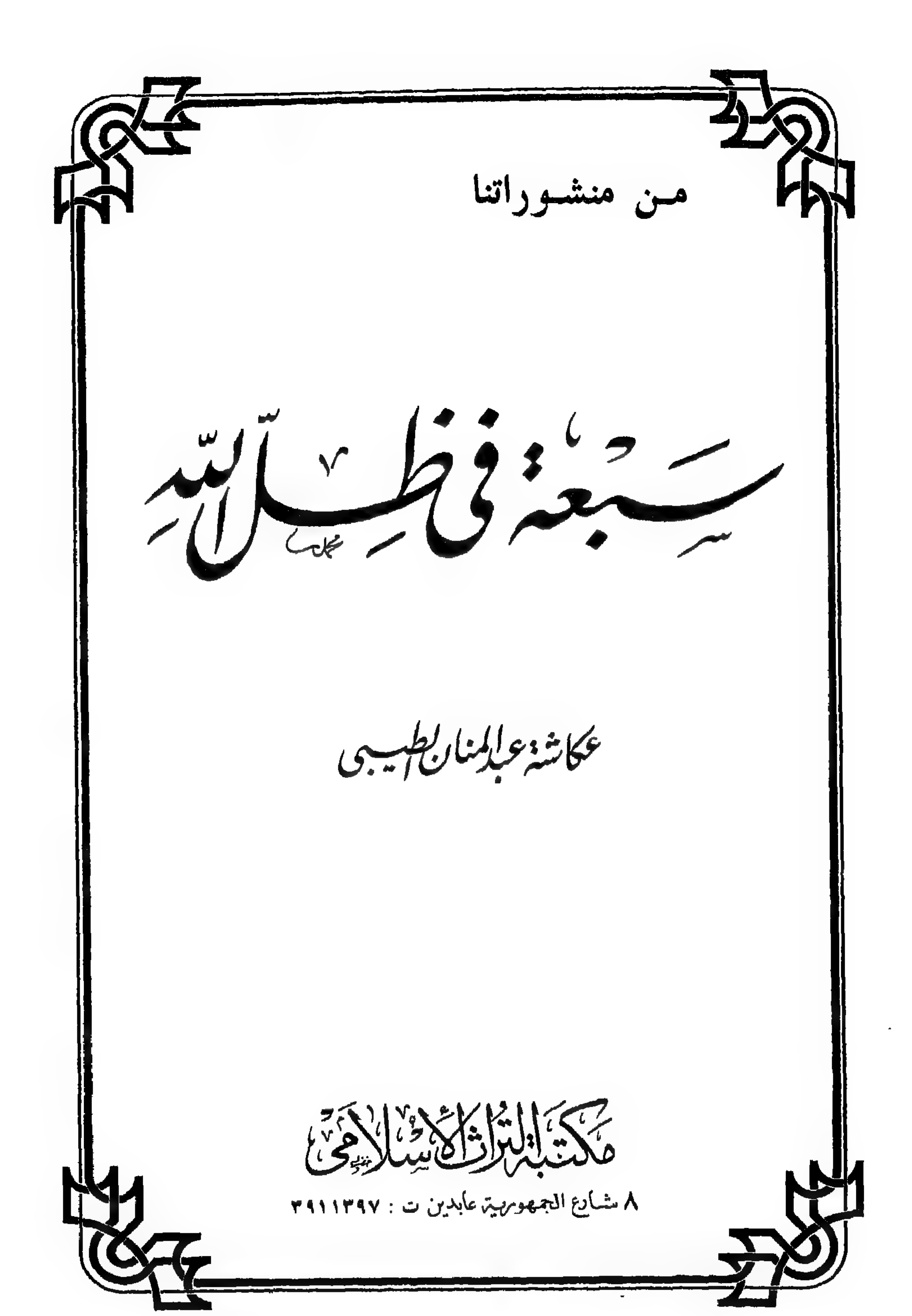
مكتبة التراث الإسلامي

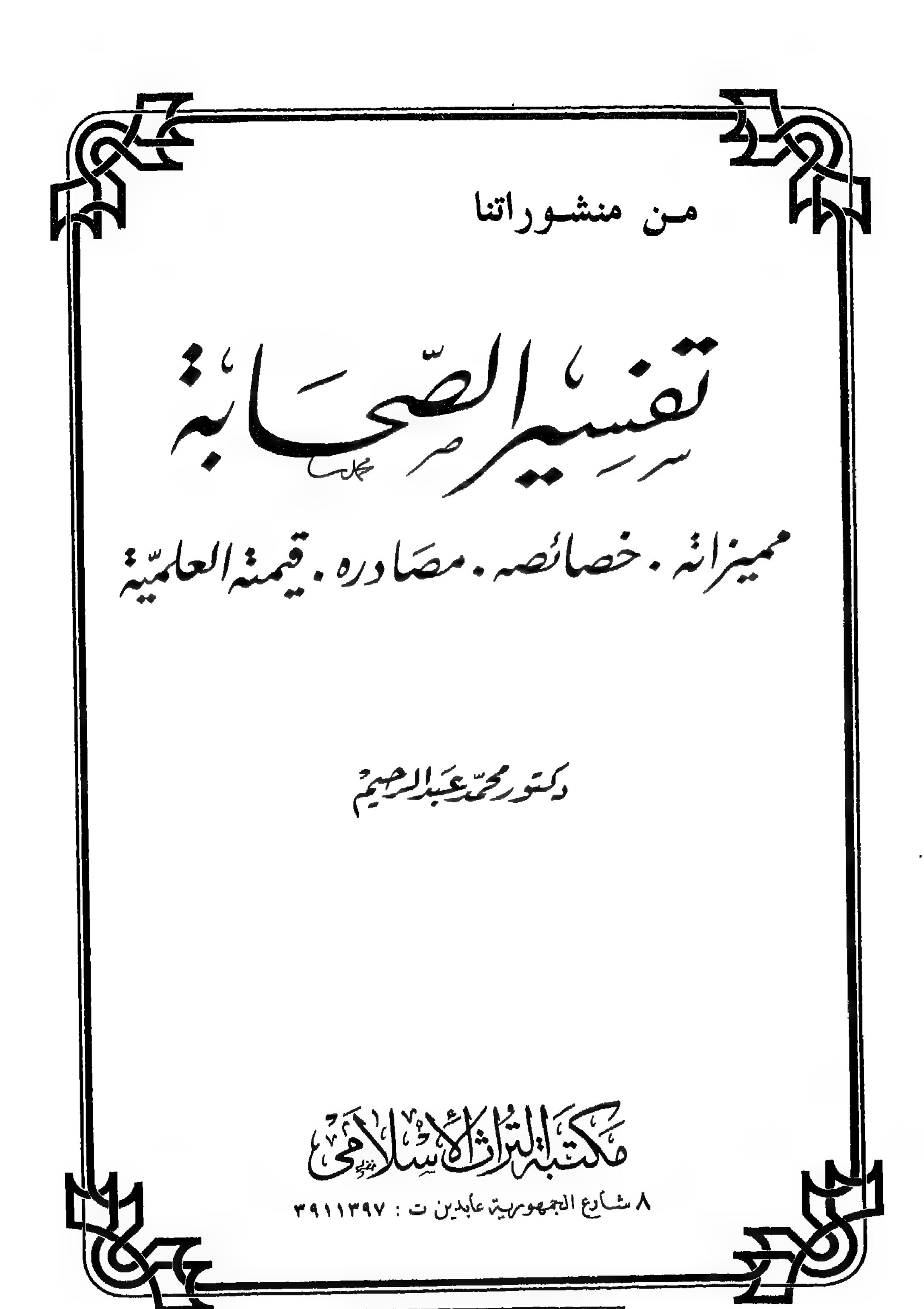
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧


من منشوراتنا
من شمائل النبي ﷺ وسيرته العطرة
هذا نبيك ﷺ يا ولدي
عبد المنعم قنديل
مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧



مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧


من منشوراتنا
سبعة في ظل الله
عكاشة عبد المنان الطيبي
مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧



من منشوراتنا

تفسير الصحابة

مميزاته . خصائصه . مصادره . قيمته العلمية

دكتور محمد عبد الرحيم

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

رقم الإيداع : ٣٥٢٢ / ١٩٩١
طبع بدار نوبار للطباعة










Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Bibliotheca Alexandrina
0364202